

د. محمد عمارة

الدِّراما السَّاحِية

وتحديات الواقع المعاصر

مكتبة الشروق الدولية

الدراما التاريخية
وتحديات الواقع المعاصر

الطبعة الأولى
١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٥ م



٩ شارع السعادة - أبراج عثمان - روكسي - القاهرة

تليفون وفاكس: ٤٥٠١٢٢٨ - ٤٥٠١٢٢٩ - ٢٥٦٥٩٢٩

Email: < shoroukintl @ hotmail. com >

< shoroukintl @ yahoo. com >

الدراما التاريخية وتحدّيات الواقع المعاصر

د. محمد عمارة

مكتبة الشرق الدولية



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

- ١ -

تمهيد

عندما وقعت هزيمة ٥ يونيو سنة ١٩٦٧م، وحدث الذهول الذي زلزل كبرياء الأمة، وهز ثقتها بنفسها.. كانت الهزيمة النفسية هي أخطر التحديات التي اقتحمت العقول والقلوب، والتي هددت بقايا آمال القيام من الكبوة، وإقالة العثرة، والأخذ بأسباب إعادة البناء، والسير على طريق القتال لتحرير الأرض، واسترداد الكرامة، وكسر شوكة الغرور الصهيوني الذي بلغ - بالمبالغة - عنان السماء!..

ومن الأصوات التي ارتفعت يومئذ، لا لتفسير الهزيمة، وإنما لتبريرها - مع حسن النوايا - أصوات مثقفين لهم وزنهم وثقلهم واحترامهم في ساحة الأدب والفن.. ومنهم المرحوم توفيق الحكيم [١٣٢٠ - ١٤٠٨هـ/ ١٩٠٢ - ١٩٨٧م]، والمرحوم الدكتور حسين فوزي [١٣١٨ - ١٤٠٩هـ/ ١٩٠٠ - ١٩٨٨م]، اللذان زعما - في التفسير التبريري للهزيمة - أن أمتنا صانعة للحضارة، لكنها ليست بارعة في القتال!!..

وأذكر أنني عندما قرأت هذا «الكلام» أحسست أننا أمام «كارثة»

جديدة، يمكن أن تؤدي إلى تكريس هزيمة يونيو.. بل ويمكن أن تفضي إلى هزيمتنا في ميدان «صناعة الحضارة» ذاتها.. ذلك أنه لا بقاء لصناعة.. أية صناعة - إذا لم يبرع صناعها في إقامة القوة الضاربة التي تحميها من غائلة العدوان..

ولقد استفزني هذه «المقولة» - يومئذ - فدفعني إلى استدعاء تاريخ الصراع الطويل، والتحديات التاريخية، التي فرضها الغرب «الصلبي» - الاستعماري» على أمتنا العربية وشرقنا الإسلامي.. من الحروب الصليبية [٤٨٩ - ٦٩٠ هـ / ١٠٩٦ - ١٢٩١ م] وحتى حملة بونايرت [١٧٦٩ - ١٨٢١ م] التي جاءت إلى بلادنا في مطلع عصرنا الحديث [١٢١٣ هـ / ١٧٩٨ م] لتواصل حلقات هذا الصراع وهذه التحديات..

ولقد ذهبت لاستدعاء ذلك التاريخ؛ كي تقدم حقائقه وسننه وقوانين معاركه الرد على هذه «المقولة» الخطرة، ولتثبت هذه المعارك أن أمتنا قد احترفت الجهاد القتالي دفاعاً عن ديار الإسلام، كما أبدعت في الجهاد الحضاري.. وأن الأمة - من العلماء إلى العامة - كانت حاضرة في ساحات القتال، قبل ومع الأمراء والجند والولاة..

ولقد كانت حصيلة هذا الجهد الفكري الذي أنجزته يومئذ هي فصول كتابي «معارك العرب ضد الغزاة».. والذي استدعى السنين والقوانين والوقائع والحقائق والدروس والعبر والعظات التي تمثلت في معارك: القادسية [١٥ هـ / ٦٣٦ م]، وحنين [٥٨٣ هـ / ١١٨٧ م]، والقدس [٥٨٣ هـ / ١١٨٧ م]، ودمياط [٦١٥ هـ / ١٢١٨ م]، والمنصورة [٦٤٨ هـ /

١٢٥٠م]، وعين جالوت [١٢٥٨هـ / ١٢٦٠م]، والحملة الفرنسية
[١٢١٣هـ / ١٧٩٨م]، ورشيد [١٢٢٢هـ / ١٨٠٧م]، وفتح عكا
[١٢٤٧هـ / ١٨٣٢م]...

ولقد شهد الاستقبال الذي استقبل به هذا الجهد - منذ نشر فصوله
متفرقة.. وحتى الطبوعات الخمس التي توالى لهذا الكتاب - على أن هذا
الاستدعاء للتاريخ إنما كان «موقفًا معاصرًا» يدفع خطر الهزيمة النفسية التي
فتحت لها هزيمة يونيو سنة ١٩٦٧م أوسع الأبواب..



وإذا كانت «القراءة المجردة» للتاريخ، لا تفضي - بالضرورة - إلى
«الاستدعاء المعاصر» لهذا التاريخ.. بل ربما قادت إلى «الهجرة من العصر»
إلى التاريخ!.. فإن المطلوب - للاستدعاء المعاصر للتاريخ، كي يخدم
قضايانا المعاصرة، ويجيب عن علامات استفهام واقعنا المعيش - ويشير إلى
حلول ومخارج لمشكلاتنا ومآزقنا الحالية.. المطلوب - لبلوغ هذه المقاصد
والغايات - تجاوز «القراءة المجردة» للتاريخ، إلى «الوعي» بسنن وقوانين هذا
التاريخ.. ذلك أن التاريخ لا يعيد نفسه - حتى تكفي قراءته - وإنما الذي
يمكن استعادته منه هي الدلالات والسنن والقوانين والدروس والعبر
والعظات المستخلصة من القوانين الحاكمة لسير هذا التاريخ.



- ٢ -

الدراما: مدرسة للتربية والثقيف

وإذا كانت «الدراما - Drame» هي التمثيل والتشخيص والتجسيد والمحاكاة للوقائع والأشخاص والملابس والأجواء.. فإن دور «الدراما التاريخية» أخطر وأفعل في استدعاء الوعي بسنن التاريخ والقوانين التي حكمت معاركه وصراعاته، وهي الأقدر على توظيف الدروس والعبر والعظات التي تستدعيها من صفحات هذا التاريخ في خدمة قضايا ومشكلات وتحديات الواقع المعاصر والمعيش..

وإذا كان الإنسان - من مختلف الأمم والحضارات - قد فطن إلى هذا «السلاح» - سلاح «الدراما» - فاستخدمه في أفراحه وأحزانه.. في رخائه وشدته.. في سلمه وحربه.. منذ فجر الحضارات القديمة - من مصر.. إلى بابل وآشور.. إلى الفينيقيين.. إلى الإغريق.. وحتى العصر الحديث - وفي ظل مختلف العقائد والديانات.. حتى لقد تعايش «دراما خيال الظل» مع التنزيه والتجريد الذي بلغه الإسلام بعقيدة التوحيد.. فإن العصر الحديث قد فتح «للدراما» - والدراما التاريخية خصوصًا - أوسع الأبواب

منذ فجر نهضتنا الحديثة، قبل قرنين من الزمان.. وذلك إدراكًا من رواد هذه النهضة أن «سلاح الدراما» هو أفعال في التربية والتعليم والتأهليل والتثقيف، وفي تجذير المقاصد والغايات في نفوس المشاهدين، ومن ثم في تحقيق التغيير والتطوير.. أفعال في تحقيق ذلك من مجرد القراءة للكتب والمقالات..

● وعندما ذهب الشيخ رفاعه الطهطاوي [١٢١٦ - ١٢٩٠هـ / ١٨٠١ - ١٨٧٣م] إلى باريس إمامًا للجنة التعليمية التي أرسلها مصر إلى فرنسا [١٢٤٢هـ / ١٨٢٦م].. وألف كتاب رحلته ومشاهداته [تخليص الإبريز في تلخيص باريز] - الذي كان أول عين للشرق على الغرب في العصر الحديث - كان نصيب «الدراما» والمسرح والتمثيل - «التياتر - Le Théâtre» و«السبكاكل» - صفحتين من هذا الكتاب..

ولقد نبه الطهطاوي - في وصفه للدراما والمسرح والتياتر، الذي شاهده به باريس - على أن هذا الفن قد أصبح «مدرسة» شديدة التأثير في التربية والتثقيف والتوجيه.. وأنها - بذلك - قد تجاوزت الأشكال الهابطة لبعض «فنون» التمثيل التي كانت قائمة بمصر في ذلك التاريخ.. ففي هذه التمثيليات، التي يتم «فيها تقليد سائر ما وقع.. يأخذ الإنسان منها عبرًا عجيبة؛ وذلك لأنه يرى فيها سائر الأعمال الصالحة والسيئة، ومدح الأولى وذم الثانية، حتى أن الفرنسيون يقولون: إنها تؤدب أخلاق الإنسان وتهذبها، فهي وإن كانت مشتملة على المضحكات، فكم فيها الكثير من المبكيات. ومن المكتوب على الستارة التي تُرغى بعد فراغ

اللعب - ما معناه بالعربية :- «قد تنصلح العوائد باللعب».

ثم تحدث الطهطاوي عن أن «اللاعبين واللاعبات» في الدراما الباريسية، وإن أشبهوا «العالم» في مصر، إلا أنهم قد امتازوا وتميزوا بأنهم «أرباب فضل عظيم وفصاحة، وربما كان لهم كثير من التأليف الأدبية والأشعار. ولو سمعت ما يحفظه اللاعب من الأشعار، وما يبدو به من التوريات في اللعب، وما يجاوب به من التكيث والتبكيث لتعجبت غاية العجب!..

ومن العجائب، أنهم في اللعب - [التمثيل] - يقولون مسائل من العلوم الغربية والمسائل المشككة، ويتعمقون في ذلك وقت اللعب، حتى يظن أنهم من العلماء، حتى أن الأولاد الصغار التي تلعب تذكر شواهد عظيمة من علم الطبيعيات ونحوها.

وإذا أرادوا مثلاً لعب - [تمثيل] - شاه العجم، ألبسوا لبس ملك العجم، وأحضروه وأجلسوه على كرسي، وهكذا.

وفي هذه «السبكاكل» يصورون سائر ما يوجد، حتى أنهم قد يصورون فزق البحر لموسى ^{عليه السلام} فيصورون البحر، ويجعلونه يتماوج حتى يشبه البحر شيئاً كثيراً..

فالتياتر عندهم كالمدرسة العامة، يتعلم فيها العالم والجاهل..

وإذا كان اتبهار الطهطاوي بفن التمثيل الباريسي، لم ينسه نقد

سليمانه، فقال: «..ولو لم تشمل التياتر في فرنسا على كثير من النزغات الشيطانية لكانت تعد من الفضائل العظيمة الفائدة»..

فإنه كان حريصاً - في إنصافه - على أن يبه قارئه المصري والعربي والمسلم، على أن الفارق كبير والبون شاسع جداً بين هذا الفن الباريسي وبين ما هو قائم في مصر، فقال - لقارئه العربي -: «..فانظر إلى اللاعِينَ - بهذه التياتر - فإنهم يحترزون ما أمكن عن الأمور التي يُفْتَنُّ بها، الخلة بالحياء. ففرق كبير بينهم وبين عوالم مصر وأهل السماع - [الغناء] - ونحوها»..^(١).

هكذا به الطعطاي قومه إلى «فن الدراما»، باعتباره «مدرسة عامة يتعلم فيها العالم والجاهل .. وتؤدب أخلاق الإنسان وتهذبها»..

● أما علي مبارك [١٢٣٩ - ١٣١١ هـ / ١٨٢٣ - ١٨٩٣ م] - الذي صور رحلته الأوروبية في روايته التعليمية [عَلَمُ الدِّين] - التي كتبها في منتصف القرن التاسع عشر - فإنه قد أقرد للمسرح والتمثيل والدراما - في مسامرات هذا الكتاب - واحدة وخمسين صفحة.. تحدث فيها عن تاريخ المسرح والتمثيل، قديماً وحديثاً.. وعن عظمه وعظمته.. وعن دوره الترفيهي والتربوي والنفعي، للمؤلفين والأدباء، فضلاً عن الجمهور.. وعن أنواع المسرح وقبونه.. وعن إعانة الدولة للدور الشهيرة.. مثل «أوبرا باريس».. وعن الكتب والحكايات المؤلفة للمسرح، والتي كادت أن تفوق ما أُلِّف في غيره من باقي العلوم والفنون .. وعن درجات المسرح وأجور

الأفاضل من الرجال من حياتهم ومآلهم وعيالهم لتخليص وطنهم وأهلهم من سطوة الأعداء المفسدين وقهر الجبابرة المتمردين؟...».

وبعد أن يتحدث عن سلطان «الدراما» الذي يفوق سلطان القوانين.. وتأثيرها الكبير على السرائر والقلوب، حتى لكأنها «مدرسة علمية لجميع الأحوال الأسرية، ومصباح يستضاء به في الأحوال الباطنة، ومفتاح يفتح به جميع الخفايا الكامنة، حتى يظهر خطرات السرائر وأوهام الظنون وأحاديث النفوس، فتبدو من خلال ستورها، ويطلع الناس على خفيها ومستورها...».

يتحدث علي مبارك. أيضًا. عن دور «الدراما» في تكوين الرباط الثقافي الموحد للأمة؛ لأنها «قناة ممتدة بين أفراد الأمة، يسيل بها ماء العلم والمعرفة من الأعلى إلى الأدنى، ومن العلماء والخواص إلى الجهال والعوام، فتزداد العلائق التآسسية وتقوى الروابط الودادية، وتعم المنفعة، وتتم الفائدة».

ثم يخلص. علي مبارك. إلى أن هذه الفوائد هي التي «حملت العقلاء على اتخاذ «التياتر».. آلات تستعمل فيما يراد من الأمور النافعة، المحمودة في الشرع والعقل، فيغرغونها في القالب الذي تصير به من أسباب الفوز والسعادة.. فهو - «التياتر» - بهذه الحالة، كالتخادم للشرعية، التي تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر.. ومن ثم فإنه من أهم الأمور وأولها بالاعتناء والرعاية.. إنه أحسن المتدعات البشرية

وأجملها، وأعظمها فائدة وأكملها...»^(٢).

ولا ينسى علي مبارك أن ينسب على الفارق الكبير بين هذه «الدراما» الهادفة والمتطورة، وبين التمثيلات التي تقدمها الفرق الشعبية في مصر - ومنها فرقة «أولاد رابية» - الذين، وإن حققوا مقاصد نافعة، عندما «يدخلون في تقليد بعض أحوال حاضرة أو أمور ماضية، يأخذون في تمثيلها وتصويرها وإبرازها في معرض المحسوس المشاهد، سواء كانت أمورًا اختراعية.. أم كانت أمورًا حقيقية حصلت في الواقع ونفس الأمر.. وقد يكون لهذه التقليدات، في بعض الأحيان، نفع في الجملة.. إلا أن ذلك - [في تمثيلات هذه الفرق الشعبية] - قليل نادر كالمعدوم. وغالب أحوالهم - على ما سمعته عنهم ورأيت في بعض الأحيان منهم - مبني على الفحش والسخف والعيب، مما تأباه النفوس وتجه الطباع.. وينفر منه كل من له جانب من العقل والدين ومشكة من الحياء والحشمة.. ويؤثر في فساد الأخلاق وتغيير الطباع عند الأغوار من الرجال والصبيان والأطفال والنساء...»^(٣).

هكذا فتح التفاعل الثقافي مع الغرب - عند رواد نهضتنا الحديثة - الأبواب لاتخاذ «الدراما» - ومنها الدراما التاريخية - سلاحًا لنقد الواقع المعيش، ومواجهة تحديات العصر، واستدعاء سنن التاريخ ودروسه وعبره وعظائمه وقوانينه على المسرح، لجعل ذلك «مدرسة عامة يتعلم فيها الجميع تهذيب الأخلاق» - بعبارة الطهطاوي... - و«جامعة لتربية النفوس على

فضائل مقاومة الجبروت والجباية.. والجهاد لتحرير الأوطان.. وتهية النفوس لخدمة الشريعة، التي تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر...» وفق عبارة علي مبارك باشا...



ولم تقف نهضتنا الحديثة من «الدراما» والتمثيل والمسرح عند هذا «الفكر النظري»، وإنما سلكت سبيل التطوير للفرق التمثيلية الشعبية؛ ليأخذ التمثيل عندنا، في النصف الثاني من القرن التاسع عشر - الشكل المنظم والراقي الذي يحاكي المسرح الأوروبي.. فكانت جهود مارون النقاش [١٢٣٢ . ١٢٧١هـ / ١٨١٧ . ١٨٥٥م] في لبنان سنة ١٨٤٨م.. وجهود أحمد أبي خليل القباني [١٢٤٨ . ١٣٢١هـ / ١٨٣٣ . ١٩٠٣م] في سوريا سنة ١٨٦٥م.. وجهود يعقوب صنوع [١٢٥٥ . ١٣٣٠هـ / ١٨٣٩ - ١٩١٢م] في مصر سنة ١٨٧٠م.. والتي غلب على معظمها طابع التقليد للمسرح الأوروبي، والتعريب لنصوصه الدرامية..

وذلك إلى أن دخلت الرؤية الإسلامية إلى هذا الميدان.. فكان من أبرز إنجازاتها الروايات التمثيلية لعبدالله النديم [١٢٦١ . ١٣١٣هـ / ١٨٤٥ . ١٨٩٦م] - وهو من تلاميذ جمال الدين الأفغاني [١٢٥٤ - ١٣١٤هـ / ١٨٣٨ . ١٨٩٧م] وأعلام علماء مدرسة الإحياء والتجديد... رواياته «العرب» و«الوطن»، التي مثلها هو وتلاميذه على مسرح «زيرنيا» - بالإسكندرية - في حضرة الحديوي توفيق [١٢٦٨ . ١٣٠٩هـ / ١٨٥٢ .

١٨٩٢م] ^(٤٢).. ثم رواية «فتح الأندلس» التي أخرجها مصطفى كامل [١٢٩١-١٣٢٦هـ / ١٨٧٤-١٩٠٨م] في ديسمبر سنة ١٨٩٣م. بعد اتصاله بعميد الله القديم، وتأثر به... وهي الرواية التي ضمتها حوادث فتح العرب المسلمين للأندلس، وستن الفتح، وقوانين الغلبة، وشروط التقدم والتخضر، مستندة تاريخياً لمواجهتها لتحديات الهزيمة النفسية التي شاعت بمصر عقب هزيمة العرابين والثورة العرابية، واحتلال الإنجليز لمصر [١٢٩٩هـ / ١٨٨٢م] ^(٤٣)..



وإذا كانت هذه هي مكانة «الدراما» في الآداب العالمية، بمختلف الحضارات.. وأهميتها كمدرسة للتربية والتثقيف والتهديب..

وإذا كان هذا هو دورها في استدعاء التاريخ، بسننه وقوانينه ودروسه وغيره وعظائمه، لنفعل فعلها في العصر والواقع المعيش..

فماذا يمكن «للدراما» - في ظل تقنيات العصر الذي نعيشه - أن تستدعيه من تاريخنا الإسلامي؛ لتقدم لأمتنا العربية والإسلامية زاداً يعينها على مواجهة التحديات الشرسة التي تكاد تعصف بوجودها - فضلاً عن قيمها ومقومات هويتها - هذه الأيام؟؟

ذلك هو السؤال المحوري.. الذي نطمح هذه الدراسة أن تقدم عليه إجابات موجزة.. في صورة حقائق.. ووقائع.. وإشارات وتنبهات..



الاستدعاء الدرامي للتاريخ.. وقضايا الواقع المعيش

في واقعنا العربي والإسلامي الراهن، مشكلات وأزمات ومآزق وتحديات تأخذ بخناق الأمة، وتعوق نهضتها وتقدمها وانعاقها.. ولقد غدت همومها هذه تحتل المساحة الأوسع من فكرنا الوطني والقومي والإسلامي المعاصر.. وتستطيع «الدراما التاريخية» أن تستدعي من سنن التاريخ الإسلامي ومعاركه «وعيًا تاريخيًا» ينمي «وعينا المعاصرة» بمشكلاتنا الحالية.. و«روحًا جهادية» تشحن وجدان الأمة «بالكبرياء المشروع»، وتعينها على ترتيب الأوراق والأولويات، وتعظيم الإمكانيات، وحشد الطاقات لتحقيق الانتصار على هذه التحديات المعاصرة.

خصوصًا وأن «الدراما» دوائر للتأثير أوسع من دائرة القراءة للكتب والمقالات.. وتأثيرًا أفعال لدى المشاهدين لها - بحكم تعدد أدوات التأثير فيها.. وبحكم نفاد الأسلوب الفني.. وبحكم الثورة الحادثة اليوم في وسائل توصيلها إلى المشاهدين... وهو تأثير يفوق - بما لا يقاس - تأثير الكلام المقروء..

وإذا شئنا إشارات إلى عدد من القضايا والمشكلات والتحديات، التي تواجهها أمتنا في هذه المرحلة من تاريخها.. والتي يمكن «الدراما» التاريخية أن نريد وعينا بها، وبقوانين وسنن التعامل معها.. فإننا نشير إلى:

❏ تداعي الأمم على الإسلام وأمته وحضارته:

والتحالفات غير المقدسة التي جمعت وتجمع قوى دولية ومذاهب وأيديولوجيات وديانات، بينها الكثير من التناقضات والعداوات التاريخية.. لكنها اجتمعت وتداعت اليوم ضد أمة الإسلام.. حتى لقد أصبحنا نردد كثيراً حديث رسول الله ﷺ الذي تنبأ فيه بتداعي الأمم علينا، والذي قال فيه:

«يوشك أن تتداعى عليكم كل الأمم من كل أفق كما تداعى الأكلة على قصعتها».

قلنا: يا رسول الله، أمن قلة بنا يومئذ؟

قال: «أنتم يومئذ كثير، ولكن تكونون غناء كغناء السيل، ينتزع المهابة من قلوب عدوكم، ويجعل في قلوبكم الوهن».

قلنا: ما الوهن؟

قال: «حب الحياة وكرهية الموت».. رواه أبو داود والإمام أحمد...

وحتى أصبح هذا «التداعي» مصدراً للرياح الهزيمية واليأس والقيوط التي تهب على قطاعات واسعة من الناس.

لقد تحالفت الصليبية العربية مع الصهيونية اليهودية ضد الإسلام والمسلمين، رغم ما بينهما - دينيًا وقاريخيًا - من تناقضات واضطهادات وثورات.. بل وتمدت الصهيونية حبال تحالفاتها مع الهندوسية، ضد ما يسمونه «الخطر الإسلامي العالمي»!.. وغدت هذه التحالفات - غير المقدسة - من أخطر التحديات التي تواجه المسلمين في لحظاتهم الراهنة..

صحيح أن الجهاد الفكري يذكّر المسلمين بأن هذا التداعي هو سنة من سنن التدافع بين الحق والباطل، حدثنا عنها القرآن الكريم.. وأنها دليل على أننا على الحق، وأن الباطل هو الذي جمع ويجمع أطراف هذه التحالفات غير المقدسة.. ومن ثم فلا مبرر لليأس أو القنوط.. بل على العكس، إنها آية من آيات النصر القادم للإسلام، بإذن الله..

﴿وَلَا يَزَالُونَ يَقْتُلُونَكُمْ حَتَّى يَرْدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ امْتُزِعُوا﴾

[البقرة: ٢١٧].

﴿يُرِيدُونَ يَظْهِرُوا نُورَ اللَّهِ بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّهُ مِثُّ نُورٍ، وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾

[الصف: ٨].

﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَبَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَبِعَمِّ الْوَكِيلِ﴾

[آل عمران: ١٧٣-١٧٤].

﴿إِذَا جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذَا زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ

الْقُلُوبِ الْحَکِیْمَ وَنُظُنُّ بِاللّهِ الْفَتْحَ ﴿١٠﴾ هَٰذَا أَتَى الْمُؤْمِنُونَ
وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ ﴿الأحزاب: ١٠ - ١١﴾

﴿وَكُنَّا رَمَا الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَٰذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ
اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴿١٢﴾﴾ ﴿الأحزاب: ١٢﴾

□ والسؤال:

. هل في تاريخنا الإسلامي أشباه ونظائر يمكن أن تستدعيها «الدراما
التاريخية»، لتزيد وعينا المعاصر بسن المواجعة لهذه التحالفات غير
المقدسة؟. ولنسهم في تفجير الطاقات التي تعين الأمة على التصدي لهذه
المخاطر التي تأخذ منا بالحناق؟!

إننا نجيب . على هذا السؤال . بنعم.. ونلفت النظر إلى حقبين من
حقب تاريخنا الإسلامي، نستطيع «الدراما التاريخية» أن تستدعي منهما
الوقائع والأحداث التي توحى وتلهم وتخدم موقفنا الراهن أمام هذا
«التداعي» وهذه التحالفات...

في تاريخ صدر الإسلام

عندما ظهر الإسلام، لم يكن هناك طرف من أطراف الديانات القائمة يعترف بالآخر.. فاليهود لا يعترفون بأي من الأعيان.. والنصارى لا يعترفون باليهود.. والعلاقة بينهما علاقة الإنكار والنفي والاضطهاد.. ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصْرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصْرَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ [البقرة: ١١٣]..

بل لقد ساد هذا النفي للآخر، والاضطهاد له حتى داخل النصرانية ذاتها!.. فالنصرانية الغربية.. الرومانية.. الملكانية.. مارست الإبادة للنصرانية الشرقية.. اليعقوبية...

ووحده جاء الإسلام، فسن السنة غير المسبوق، في السماحة والاعتراف بكل الآخرين.. بل وتقدم صاعداً على هذا الطريق، فجعل «الآخر».. اليهود والنصارى.. جزءاً من «الذات».. أهل الكتاب، المتدينين بدين الله الواحد.. وجعل يهود المدينة.. منذ قيام دولته.. جزءاً من الأمة الواحدة والرعية المتحدة.. بينهم البر المحض، والنصح والنصيحة والتناصر، دون الإثم..

ومع ذلك وبالرغم منه، ذهب اليهود العبرانيون . المفترض أنهم متدينون بدين توحيدى . إلى التحالف مع الوثنية الجاهلية التي تعبد الأصنام، وتكر وترفض كل الديانات السماوية.. تحالف اليهود معها ضد الإسلام، الذي بلغ في التوحيد أرقى درجات التنزه والتجريد، والذي فتح الأبواب الواسعة أمام التعاون على البر والتقوى بين سائر أبناء الديانات، مقررًا أن «لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين، وعلى المسلمين ما عليهم، حتى يكونوا للمسلمين شركاء فيما لهم وفيما عليهم»..

ذهب اليهود العبرانيون هذا المذهب، فسعوا إلى مشركي قريش يؤلبونهم على حرب الإسلام ودولته الوليدة، قائلين لهم: «إننا سنكون معكم حتى نستأصله»!.. وسعوا إلى مشركي «عظفان» فدعوههم إلى الانضمام لهذا الحلف غير المقدس، وأغروهم بإعطائهم ثمار سنة كاملة من وأحات خيبر ومزارعها وحدائقها إن هم دخلوا هذا الحلف ضد الإسلام والمسلمين!.

بل وبلغ اليهود . في سبيل جمع هذه الأطراف المتناقضة، ضد الإسلام والمسلمين - إلى الحد الذي خانوا فيه دينهم السماوي، عندما فضلوا الوثنية على الإسلام.. وذلك حين سألهم مشركو قريش:

«يا معشر يهود، إنكم أهل الكتاب الأول، والعلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد. أفديننا خير من دينه؟»

. فكانت إجابة اليهود: «بل دينكم خير من دينه، فأنتم أولى بالحق»!

ولقد أشار القرآن الكريم إلى هذه «الحياة الفكرية» - التي سيقوا بها «مكيا فيلي» [١٤٦٩ - ١٥٢٧م]، وتفرقوا عليه - فقال:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أَوْثَقُوا نَفْسِيًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْحَيَاتِ
وَالطَّلْعُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا سَبِيلًا ۖ﴾
[النساء: ٥١]

إنها صفحة من صفحات تاريخ التحالفات غير المقدسة ضد الإسلام وأمته ودولته.. تستطيع «الدراما» استدعائه لتقول لحاضرتنا الراهنة، من خلال وقائعه وقوانين صراعاته: إن يهود العصر، الذين عضوا اليد الإسلامية التي تفردت بالإحسان إليهم، فتحالفتوا مع جلاديتهم، الذين اضطهدوهم واحتقروهم وأذلوهم طوال تاريخهم ضد الإسلام والمسلمين.. إن لهم - في هذه التحالفات غير المقدسة - تاريخًا.. وإن لهذا التاريخ عطاء في الوعي وتحريك الطاقات تستطيع أن تقدمه الدراما التاريخية إلى واقعنا المعيش وثقافتنا المعاصرة..

- ٥ -

وفي التاريخ الوسيط

إبان الحروب الصليبية [٤٨٩ . ٦٩٠ هـ / ١٠٩٦ . ١٢٩١ م] التي
شنها الغرب الأوروبي - بقيادة الكنيسة الكاثوليكية - ضد الإسلام وأمنه
وحضارته وعالمه.. والتي استمرت حملاتها قرنين من الزمان.. سمعت
الكنيسة الكاثوليكية - المفترض أنها تتدين بدين مساوي، يرى الإسلام أهله
الأقرب مودة للمسلمين، ويتحدث قرآنه عن عيسى عليه السلام وأمه عليها
السلام، وعن الإنجيل بالتكريم والتعظيم والإنصاف - سمعت هذه الكنيسة -
ومن ورائها أوروبا - إلى عقد تحالف غير مقدس، مع الوثنية التترية ضد
الإسلام والمسلمين؛ وذلك لتضع عالم الإسلام بين فكي الكماشة وشقي
الرحى!..

ففي سنة ٦٤٢ هـ ١٢٤٥ م أرسل البابا «إينوسنت الرابع» [١٢٤٣ -
١٢٧٠ م] بعثة إلى عاصمة الدولة التترية الشرقية - «قراقورم» - ورأس هذه
البعثة مندوب البابا «جون ده بياني كارييني»، فقامت بمباحثات شاقة
وطويلة، لتحويل مطاعم التتار واتجاه غروهم إلى البلاد الإسلامية، بدلاً من

أوروبا.. ولعقد التحالف بين الصليبية النصرانية والوثنية الترية ضد الإسلام والمسلمين!..

وتكرر السعي الصليبي على طريق إقامة هذا الحلف غير المقدس، فاستقبل الملك - القديس - «لويس التاسع» [١٢١٤ - ١٢٧٠ م] - وهو «بقرص»، في طريقه لغزو مصر، والوصول عبرها لاحتلال الأرض المقدسة - استقبل بعثة تيرية - في شتاء [١٢٤٨ - ١٢٤٩ م] من «جغطاي» خان التار.. ولما عادت البعثة الترية إلى «قراقورم»، صاحبها بعثة صليبية فرنسية لاستكمال مفاوضات هذا التحالف الصليبي - الوثني، ضد الإسلام والمسلمين..

ولم تقض هزيمة «لويس التاسع» في «المنصورة» [٦٤٨ هـ - ١٢٥٠ م] على هذا السعي الصليبي.. فخرجت من الحصن الصليبي في عكا (٦٥٠ هـ - ١٢٥٢ م) بعثة فرنسية صليبية أخرى، وأمسها رجل الدين «جليوم رديروك»، فذهبت إلى «قراقورم»، وفاوضت في بلاط «الحان» التيري الوثني «منكو قاآن» مدة خمسة أشهر لعقد هذا الحلف غير المقدس ضد الإسلام والمسلمين.

ولقد استعان الصليبيون الكاثوليك، في هذه المفاوضات والتحالفات بالنصارى الساطرة، الذين كانوا - في السابق - ضحايا الاضطهاد الكاثوليكي الأوروبي، والذين لجأوا إلى الشرق فعاثوا آمين فيه!.. استعان المضطهد بالمضطهد، على عقد الحلف الصليبي - الوثني ضد الإسلام!..

وكانت الزوجة النسطورية «هولاكو» [١٢١٧ - ١٢٦٥م] . واسمها «دوقوز خاتون» - إحدى أدوات هذه المساعي، إبان المفاوضات التي استمرت في «قراقورم» بين «هولاكو» وبين ممثل الأمراء الصليبيين «هينوم» - ملك «أرمينية» ... وهي المفاوضات التي انتهت بعقد هذا الحلف ضد الإسلام والمسلمين.. والذي بموجبه تجهزت حملة «هولاكو» للزحف المدمر على بلاد الشرق الإسلامي.. بل واستطاع هذا التحالف أن يجعل قائد هذه الحملة نصرانياً نسطورياً - من قبيلة نثرية تنصرت، وهو القائد «كتبغا»!

ولقد انضم الجيش الصليبي - بقيادة الأمير «هينوم» - إلى الجيش النثري الوثني - الذي يقوده النسطوري «كتبغا» .. ونهض البطريق الأرمني النصراني كي يمنح «البركة» للجيش الوثني الزاحف لتدمير عاصمة الخلافة الإسلامية ومدنها. ومقدساتها^(٦)!..

فهي - أيضاً - حقبة تاريخية، يمكن للدراما أن تستدعي وقائعها وسننها والأشياء والنظائر التي تجمع بينها وبين ما تواجهه أمتنا اليوم من تحالفات غير مقدسة، تداعت فيها الأمم على عالم الإسلام تداعي الأكلة على قصعتها!.



الجسم المعادي - المُقحم - بين التمدد والحصار

وإذا كان الحلف «الصليبي . الصهيوني» . اللا أخلاقي . ضد الإسلام وأُمَّته وحضارته، قد نجح [١٣٦٧هـ / ١٩٤٨م] في أن يغرس في قلب أمتنا كياناً صهيونياً غريباً ومعادياً، يقطع وحدة وطن العروبة وعالم الإسلام، ويمثل «قفازاً» للقبضة الاستعمارية الغربية، التي تعمل على إجهاض وحدة أمتنا وتقدمها ونهضتها..

وإذا كانت المعركة الدائرة الآن بين أمتنا وبين هذا الكيان الغريب والمقحم قسراً في جسد الأمة، هي حول:

- تمدد هذا الكيان.. وقبوله.. والتطبيع معه.. ومن ثم فتح الأبواب لهيئته على عالم الإسلام؟

- أم حصاره.. ورفضه، إلى أن يأذن الله بدفعه إلى مصير الكيانات الصليبية الاستيطانية، التي قام على غرارها؟؟..

إذا كانت هذه هي طبيعة هذا التحدي الذي تعيشه أمتنا على أرض

فلسطين.. فإن في وقائع صراع أمتنا ضد الكيانات الاستيطانية الصليبية - في تاريخنا الوسيط - الكثير من الدروس والقوانين والعبر والعظات التي يمكن أن نستدعيها «الدراما التاريخية» كي نخدم ثقافتنا الجهادية في هذه الأيام..

فلقد سبق وأدركت دول الفروسية الإسلامية، التي قامت بالشرق العربي، لاقتلاع الكيانات الصليبية - الدولة الزنكية - النورية [٥٢١ - ٦٤٨هـ / ١١٢٧ - ١٢٥٠م]، والدولة الأيوبية [٥٦٧ - ٦٤٨هـ / ١١٧١ - ١٢٥٠م]، والدولة المملوكية [٦٤٨ - ٧٨٤هـ / ١٢٥٠ - ١٣٨٢م] - أدركت هذه الدول - التي نهضت بعبد التحرير لديار الإسلام من الكيانات الصليبية الاستيطانية - أن استراتيجية حصار هذه الكيانات الاستيطانية، هي الشرط الأول والمقدمة الضرورية لاقتلاع هذه الكيانات.. ولذلك، كان حرص هذه الدول - التي بدأت بالشرق العربي - على مد «طوق الوحدة» - المحاصر للكيانات الاستيطانية - إلى مصر، في غرب هذه الكيانات.. وعلى أن يكون الطريق الذي يربط مصر بالشرق العربي، والذي يمتد من الجنوب - حول هذه الكيانات الصليبية - طريق «الكرك» و«الشوبك» - هو حزام الضغط العربي الإسلامي على هذه الكيانات الغربية المرفوضة، فلا يبقى أمامها سوى طريق البحر - الذي جاءت منه - لتذهب عبره إلى المواطن التي جاءت منها!..

وفي سبيل بناء هذه الاستراتيجية، وإقامة هذا «الطوق»، وتوحيد الإمارات العربية المحيطة بهذا الجسم الاستيطاني الصليبي الغريب.. حارب

الجسم المعادي - المُقحم - بين التمدد والحصار

وإذا كان الحلف «الصليبي - الصهيوني» - اللا أخلاقي - ضد الإسلام وأمة وحضارته، قد نجح [١٣٦٧هـ / ١٩٤٨م] في أن يخرس في قلب أمتنا كياناً صهيونياً غريباً ومعادياً، يقطع وحدة وطن العروبة وعالم الإسلام، ويمثل «قفازاً» للقبضة الاستعمارية الغربية، التي تعمل على إجهاض وحدة أمتنا وتقدمها ونهضتها..

وإذا كانت المعركة الدائرة الآن بين أمتنا وبين هذا الكيان الغريب والمقحم قسراً في جسد الأمة، هي حول:

- تمدد هذا الكيان.. وقبوله.. والتطبيع معه.. ومن ثم فتح الأبواب لهيمنته على عالم الإسلام؟

- أم حصاره.. ورفضه، إلى أن يأذن الله بدفعه إلى مصير الكيانات الصليبية الاستيطانية، التي قام على غرارها؟؟..

إذا كانت هذه هي طبيعة هذا التحدي الذي تعيشه أمتنا على أرض

صلاح الدين الأيوبي [٥٦٤ . ٥٨٩هـ / ١١٦٩ - ١١٩٣م] أكثر من خمسة عشر عامًا [٥٦٨ . ٥٨٣هـ / ١١٧٣ - ١١٨٧م] حتى وحد «إمارات الطوق»...! وعندما جمع أمراء «الموصل»، و«الجزيرة»، و«أربيل»، و«كيفا»، و«ماردين»، و«قونية»، و«أرمينا» [٥٦٥هـ ١١٧٠م] على هذا «الحلف الطوق»، ثم أدخل فيه «حلب» [٥٧٩هـ ١١٨٣م].. عند ذلك - وليس قبله - انفتحت إمكانات الضغط على الكيانات الصليبية.. ومعارك الانتصارات - على هذه الكيانات - أمام صلاح الدين^(٧)..

فهو درس في استراتيجية التعامل مع الكيانات الاستيطانية الاستعمارية المقحمة قسراً في قلب الأمة ووطنها.. كي لا تتمدد - من خلال التشرذم القطري - فتهدس على محمل ديار الإسلام..

هو درس استراتيجي، تستطیع «الدراما التاريخية» أن تعلمنا منه اليوم الكثير والكثير.. وأن تخدم الحقيقة الاستراتيجية المعاصرة التي نقول: إن أي انتصار على الكيان الصهيوني لم يتحقق إلا في ظل تحالف مصر والشام.. وأن تمدد هذا الكيان الصهيوني، واختراقه لأوطان الأمة لم يحدث إلا في ظل عزل مصر عن المشرق، وانفراط عقد «دول الطوق» المحيطة بهذا الكيان!..



وغواية الأقليات

عندما ظهر الإسلام [١٣ ق. هـ ٦١٠ م] كان المشرق - باستثناء وسط شبه الجزيرة العربية - واقفاً تحت الاحتلال الروماني - الفارسي، والفهر الديني والسياسي والثقافي والحضاري، الذي استمر لعشرة قرون - من الإسكندر الأكبر [٣٥٦ - ٣٢٤ ق. م] في القرن الرابع قبل الميلاد.. إلى «هرقل» [٦١٠ - ٦٤١ م] في القرن السابع للميلاد - ومأساة الاضطهاد الروماني والبيزنطي للنصرانية الشرقية لا تزال الحدث التاريخي الذي تؤرخ به الكنائس الشرقية حتى الآن، وتسميه «عصر الشهداء»!

ولذلك كان ظهور الإسلام، الذي يؤمن أهله بكل النبوات والرسالات والشرائع والكتب السماوية.. وكانت الفتوحات الإسلامية - التي دارت جميع معاركها ضد الروم والفرس - والتي حررت أقطار المشرق من هذا الاحتلال الاستعماري والفهر الحضاري، وحررت - مع الأرض - الضمائر والعقائد لشعوب المشرق من الاضطهاد الديني.. كان ذلك - بشهادة أهل تلك الديانات - إنقاذاً لعقائدهم من الإبادة الوشيكة.. وعقائبا

إلهيًا للرومان على هذا القهر والاضطهاد الذي مارسوه.. فسيادة الدولة الإسلامية أقاليم الشرق، ثم إنقاذ ديانات شعوبه.. وتركوا وما يدينون، لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين.. فعاشت اليهودية والنصرانية في الدولة الإسلامية، وأسهم المتدينون بهما في بناء حضارة جديدة واحدة، هي الحضارة الإسلامية. حتى أن هذه الحضارة لم تعرف في تراثها مصطلح «الأقليات»، وإنما عرفت مصطلح «الأمة»، التي جعل الله تنوعها إلى شعوب وقبائل، وملل ونحل وشرائع، وألسنة ولغات وقوميات شنة من سنن الله التي لا تبدل لها ولا تحوّل..

ولقد شهد بهذه الحقيقة. حقيقة الإنقاذ الإسلامي لديانات الشرق القديمة.. وبأن بقاء هذه الديانات إنما كان «هيئة الإسلام». شهد بها أهل تلك الديانات، في أقدم النصوص التاريخية التي عاصر أصحابها الفتوحات الإسلامية لتلك البلاد.

فالأسقف القبطي «يوحنا النقيوسي» - الذي عاصر الفتح الإسلامي لمصر - يقول. في كتابه الذي هو أقدم تأريخ لهذا الفتح :-

«إن الله، الذي يصون الحق، لم يهمل العالم، وحكم على الظالمين، ولم يرحمهم لتجربتهم عليه، وردهم إلى يد الإسماعيليين - [العرب المسلمين: أبناء إسماعيل عليه السلام] - ثم نهض المسلمون وحازوا كل مصر. وكان عمرو بن العاص يقوى كل يوم في عمله، ويأخذ الضرائب التي حددها، ولم يأخذ شيئاً من مال الكنائس، ولم يرتكب شيئاً ما،

سلباً أو نهباً، وحافظ على الكنائس طوال الأيام»^(٨).

وبطريك الأقباط يومئذ - «بنيامين» [٣٩ هـ - ٦٥٩ م] - الذي طارده الرومان فهرب في الصحارى ثلاثة عشر عاماً.. أحرق الرومان فيها أخاه انتقاماً من هربه.. أرسل إليه عمرو بن العاص [٥٠ ق. هـ ٤٣ هـ / ٥٧٤ م] عهد الأمان، واستقبله وأكرمه، وحرر له ولرعيته كنائسهم التي اغتصبها الرومان.. فعاد «بنيامين» إلى رعيته وكنائسه وأديرته، ودخل - في موكب الفرح والحرية - إلى الإسكندرية، في ظل التحرير الإسلامي لمصر ونصرانيتها.. ويصف الأسقف «يوحنا النقيوسي» ذلك، فيقول:

«ودخل الأنبا «بنيامين» بطريرك المصريين مدينة الإسكندرية، بعد هربه من الرومان ثلاثة عشر عاماً، وسار إلى كنائسه، وزارها كلها. وكان كل الناس يقولون: هذا النفي وانتصار الإسلام كان بسبب ظلم هرقل الملك، وبسبب اضطهاد الأرثوذكسين.. وهلك الروم لهذا السبب، وساد المسلمون مصر»^(٩).

وتتكرر هذه الشهادات - على التحرير الإسلامي للضمائر والعقائد مع تحريره للأوطان - فيقول الأسقف «ميخائيل السرياني»:

«إن الإمبراطور الروماني لم يسمح لكنيسة بالظهور - [أي لم يكن معترفاً بها!] - ولم يصغ إلى شكاوى الأساقفة فيما يتعلق بالكنائس التي نهبت، ولهذا، فقد انتقم الرب منه. لقد نهب الرومان الأشرار كنائسنا وأديرتنا بقسوة بالغة، واتهمونا دون شفقة، ولهذا جاء إلينا من الجنوب

أبناء إسماعيل لينقذونا من أيدي الرومان، وتركنا العرب ثمارس عقائدنا بحرية، وعشنا في سلام»^(١٠).

بهذه الحقيفة - حقيفة إنقاذ الإسلام للديانات الأخرى، والسلام الديني الذي حققه الفتح الإسلامي لأبناء تلك الديانات لأول مرة في تاريخهم - شهد الشهود من أهل تلك الديانات - وفي المقدمة منهم رجال الدين! ... وعاش أهل تلك الديانات جزءًا من الأمة الواحدة، والرعية الواحدة للدولة الإسلامية عبر تاريخ حضارة الإسلام..

لكن الغواية الاستعمارية - إبان فترات الغزو الغربي، الذي حاول عبر هذا التاريخ إعادة احتطاف الشرق من التحرير الإسلامي والدولة الإسلامية - قد سعت - هذه الغواية - لتحويل «نعمة» التعددية الدينية - التي جعلها الإسلام سنة وفانوكًا - إلى «نقمة» وثغرات احتراف لأمتاء من خلال بعض أبناء هذه الأقليات!

وتقدّم شهد الباحث والمؤرخ النصراني اللبناني «جورج فرم» على هذه الحقيقة، عندما أشار إلى أن هذه الغواية الاستعمارية لأبناء هذه الأقليات النصرانية قد كانت من أهم الأسباب التي أحدثت ثورات طائفية، وردود أفعال سلبية إزاء أبناء هذه الأقليات عبر تاريخ الإسلام.. فقال:

«إن هذا التوتر قد ارتبط بفترات التدخل الأجنبي في البلاد الإسلامية، وقام الحكام الأجانب بإغراء واستدراج الأقليات الدينية غير المسلمة بالتعاون معهم ضد الأغلبية المسلمة.. إن الحكام الأجانب - بمن

فيهم الإنجليز - لم يحجموا عن استخدام الأقلية القبطية في أغلب الأحيان ليحكموا الشعب ويستزفوه بالضرائب، وهذه ظاهرة نلاحظها في سوريا أيضاً، حيث أظهرت أبحاث «جب» [١٨٩٥ - ١٩٧١م] و«بوليك» كيف أن هيمنة أبناء الأقليات في المجال الاقتصادي أدت إلى إثارة قلق دينية خطيرة بين النصارى والمسلمين في دمشق سنة ١٨٦٠م وبين الموارنة والدروز في جبال لبنان سنة ١٨٤٠م و١٨٦٠م. ونهايات الحروب الصليبية قد أعقبتها، في أماكن عديدة، أعمال نأر وانتقام ضد الأقليات المسيحية ولا سيما الأرمن التي تعاونت مع الغازي...^(١١).

وإذا كانت إحدى مشكلات عصرنا وتحديات واقعنا المعيش، هي لعب الاستعمار الغربي «بورقة الأقليات» - حتى الأقليات القومية المسلمة - لزيادة تمزيق عالمنا الإسلامي على أسس دينية وعرقية وطائفية ومذهبية، فإن الدراما التاريخية تستطيع أن تستدعي إلى ثقافتنا المعاصرة هذه الصفحات التي لعب الاستعمار فيها مع أمتنا «بورقة الأقليات».. والتي مارس إبانها غواية شرائح من أبناء هذه الأقليات، وذلك لتقول هذه الدراما التاريخية للأمة - أقليات وأغليات - إن عواقب الاستجابة لهذه الغواية كانت ردود فعل سلبية ومؤلمة وأحياناً دامية.. وأن وحدة الأمة، التي تجعل الأقليات «لبنات» في جدار الأمن الوطني والقومي والحضاري، هي السبيل الآمن لتحقيق السلام الاجتماعي والحرية وكل حقوق المواطنة للجميع.. أما الغواية بالخيانة، التي يربط بها الاستعمار والضمهونية تحويل نعمة التعددية

إلى نقمة الشرذمة، وإلى جعل هذا التنوع ثغرات اختراق لأمتنا وهويتنا الحضارية، فهو الكارثة والطامة الكبرى.. وعواقب فتنها لا تصيب الذين ظلموا منهم خاصة.. وإنما نعم بلواها الكثير من الأبرياء..!

إن عبرة هذه الصفحات التاريخية نقول: إن أمن وأمان الأقليات إنما يتحقق في الوفاق العام داخل إطار الأمة، وليس بالاستجابة لغوايات الاستعمار.. فالتدخل الأجنبي والحمايات الأجنبية، هو «سحايات سوداء» ليس لها دوام، وليس فيها ضمان لأمن أو أمان.. بينما الأمن والأمان قائم في حضن الأمة، وفي دفء الوحدة الوطنية والقومية والحضارية..

لقد تحدث مخطط «ديفيد بن جوريون» [١٨٨٦ - ١٩٧٣م] و«موشي شاريت» [١٨٩٤ - ١٩٦٥م] - في خمسينيات القرن العشرين - عن الثوابت الصهيونية في غواية الأقليات النصرانية في العالم العربي.. فقالا في هذا المخطط: «إن إذكاء النار في مشاعر الأقليات المسيحية في المنطقة، وتوجيهها نحو المطالبة بالاستقلال والتحرر من الاضطهاد الإسلامي - [كذا؟] - هو عمل إيجابي، لما ينتج عنه من آثار تدميرية على المجتمع المستقر»^(١٢)!!

ولقد اعتبر «بن جوريون» أن تنفيذ هذا المخطط - اللعب بورقة الأقليات - هو الضمان لبقاء الكيان الصهيوني، المغروس قسراً في جسد الأمة العربية، فقال: «نحن شعب صغير، وإمكاناتنا ومواردنا محدودة، ولا بد من اختزال هذه المحدودية في مواجهة أعدائنا العرب، من خلال معرفة

وتشخيص نقاط الضعف لديهم، وخاصة العلاقات القائمة بين الأقليات
الإثنية والطائفية، حتى نصنّم ونُعظّم هذه النقاط لتصبح معضلة يصعب
حلها أو احتواؤها»^(١٣).

ولقد استمرت هذه العواية - الاستعمارية - الصهيونية - للأقليات؛ كي
تسير على طريق الصهيونية، فتعض اليد التي أنقذت دياناتها، وحررت
أوطانها، وجعلتها جزءاً أصيلاً من نسيج الأمة والحضارة، وأشركتها - لأول
مرة - في صناعة الحضارة.. استمرت هذه العواية ثابتاً من ثوابت
الاستراتيجية الصهيونية، فخلعت أبحاث الندوة التي عقدتها مراكز
البحث والسياسة - بدعوة من «مركز بارايان للأبحاث الاستراتيجية» -
التابع لجامعة بارايان الإسرائيلية - في ٢٠ مايو سنة ١٩٩٢ م... خلعت
أبحاث هذه الندوة إلى الادعاء «بأن الأقليات في العالم العربي هي
شريكة لإسرائيل في المصير، ولا بد من أن تقف مع إسرائيل في مواجهة
ضغط الإسلام والقومية العربية»^(١٤)!!

فاخطط «القديم - الجديد» هو جعل هذه الأقليات ثغرات اختراق
لوحدة الأمة وأمنها الوطني والقومي والحضاري، بدلاً من أن تكون - كما
أرادها الإسلام وحضارته - لبنات في بناء الأمة، وجزءاً أصيلاً من نسيجها
الوطني.. إنهم يريدون الأقليات «شريكة للصهيونية»، وليس جزءاً من أمتها
العربية.. الأمر الذي يجعل هذه الصفحات من التاريخ مادة للدراما
التاريخية الموحية بالكثير لواقعنا الإسلامي الراهن.. وذلك إذا هي استدعت

إلى وعينا المعاصر هذا الرعي بصفحات التاريخ..

□ صفحة الغواية الصليبية عند اقتحام القدس [٤٩٢هـ / ١٠٩٩م]

ففي الوقت الذي ذبح فيه الصليبيون وأحرقوا جميع من وقع في قبضتهم من مسلمي القدس.. في مذبحة دامت سبعة أيام، وحصدت سبعين ألفاً من المسلمين.. «حتى كُلت أيدي الصليبيين من الذبح»!! كما يقول المؤرخ النصراني - رجل الدين - «مكسيموس مونروند» في كتابه [تاريخ حرب الصليب] - اجتذبت غوايتهم قطاعات من نصارى القدس «الذين كانوا يسرون أمام الصليبيين بدلائل الاحترام والوقار، مرتلين معهم أناشيد الخلاص من الأسر»!!

وسرت هذه الغواية إلى قطاعات من النصارى خارج القدس.. ذلك أن «أخبار الانتصارات التي فاز بها الصليبيون، بامتلاكهم هذه البلاد، قد انتشرت بسرعة في الجهات القريبة إليها.. وهكذا شوهد المسيحيون متقاطرين جموعاً غفيرة إلى أورشليم، من أنطاكية، ومن الرها، ومن ترسوس، ومن كيادوكيا، ومن كيلكيا، ومن بين النهرين، ومن سائر أقاليم سوريا.. فالبعض سكنوا في أورشليم وما يحيطها، وغيرهم كانوا يزورون الأراضي المقدسة ويعودون إلى بلادهم، والجميع حاصلون على فرح عام، غير فاترين عن تقديم الشكر لله والتقريظات لشجاعة الصليبيين وانتصاراتهم كجنود محققين ليسوع المسيح، الذين - أخيراً -

أنقذوا قبر ابن الله مخلص العالم من أيدي غير المؤمنين»^(١١٥)



□ وفي دمشق

ولقد تكررت صفحة الغواية الاستعمارية هذه لقطاعات من الأقليات النصرانية إبان الغزوة الثرية لدمشق [٦٥٨هـ / ١٢٦٠م]. تلك التي قادها القائد الثري النسطوري «كُبغا». وكتب المقرئ [٧٦٦ - ٨٤٥هـ / ١٣٦٥ - ١٤٤١م]: كيف «استطال النصارى بدمشق على المسلمين، وأحضروا فرماناً من هولاكو بالاعتناء بأمرهم وإقامة دينهم، فتظاهروا بالخمر في نهار رمضان، ورشوه على ثياب المسلمين في الطرقات، وصبوه على أبواب المساجد. وألزموا أرباب الخوانيت بالقيام إذا مروا بالصليب عليهم، وأهانوا من امتنع من القيام للصليب، وصاروا يمشون في الشوارع إلى كنيسة مريم، ويقفون به، ويخطبون في الثناء على دينهم، وقالوا جهراً: «ظهر الدين الصحيح دين المسيح». وخرّبوا مساجد ومآذن كانت بجوار كنائسهم، ففلق المسلمون من ذلك، وشكوا أمرهم لنائب هولاكو - كُبغا - فأهانهم، وضرب بعضهم وعظم قدر قسوس النصارى، ونزل إلى كنائسهم، وأقام شعارهم»^(١١٦)

ثم يحكى المقرئ كيف أدت هذه الغواية والحياة إلى ردود أفعال قاسية، وذلك بعد انتصار الدولة الإسلامية على التار في عين جالوت [٦٥٨هـ / ١٢٦٠م]، عندما «بادر أهل دمشق إلى دور النصارى فنهبوا

وخرّبوا ما قدروا على تخريبه»^(١٧)!



□ وفي مصر

ولقد تكررت هذه الغواية الاستعمارية بالخيانة، لشرائح من أبناء الأقليات إبان الحملة الفرنسية على مصر [١٢١٣هـ / ١٧٩٨م].. ونجحت هذه الحملة الاستعمارية في غواية قطاعات من «أراذل القبط» الذين قادهم المعلم «يعقوب حنا» [١١٥٨ - ١٢١٦هـ / ١٧٤٥ - ١٨٠١م] - الذي يسميه «الجبرتي» [١١٦٧ - ١٢٣٧هـ / ١٧٥٤ - ١٨٢٢] «يعقوب اللعين» - فجنّد فيلقاً قبطياً، نزّاه بزي الجيش الفرنسي، وأصبح حزناً من الحملة الاستعمارية يشارك في محاربة المصريين وإذلال المسلمين، بل وفي سجن علماء الأزهر الشريف!..

وفي تاريخ الجبرتي إشارات كثيرة لمظاهر هذه الغواية والخيانة، التي استغفرت أغلبية الأمة، وأحدثت الآثار السلبية في جسد الوحدة الوطنية.. وفي هذه الإشارات نقرأ - مثلاً -: كيف «ترفع أسافل النصارى من القبط والشوام والأروام واليهود - [اعتماداً على المستعمر] - فركبوا الخيول، وتقلدوا السيوف بسبب خدمتهم للفرنسيين، ومشوا بالخيول، وتلفظوا بفاحش القول، واستذلوا المسلمين، مع عدم اعتبارهم للدين، إلى غير ذلك مما لا يحيط به الحساب، ولا يسطر في كتاب. ولا حول ولا قوة إلا باللّه العلي العظيم»^(١٨)!

وكيف احتفلوا بانتصار جيش بونابرت في معركة «غزة» [١٢١٣هـ / ١٧٩٩م] . [إن سعيه لاحتلال الشام : «فأظهر النصارى الفرح والسرور، في الأسواق والدور، وأولوا في بيوتهم الولائم، وغيروا الملابس والعمائم، وتجمعوا للهو والخلاعة، وزادوا في الشناعة»^(١٩)]

وعندما حل الجنرال «كليب» [١٧٥٣ - ١٨٠٠م] محل بونابرت في قيادة جيش الاحتلال، عهد إلى المعلم يعقوب حنا - الذي أصبح «جنرالاً» في الجيش الغازي! - «أن يفعل بالمسلمين ما يشاء».. فتناولت النصارى، من القبط ونصارى الشوام، على المسلمين بالسب والضرب، ونالوا منهم أغراضهم، وأظهروا حقدهم، ولم يبقوا للصالح مكاناً؟! وصرخوا بانقضاء ملة المسلمين وأيام الموحدين»^(٢٠)!!

الأمر الذي ترك جراحاً عائرة في مجتمع ذلك التاريخ، وخلف رواسب في الكثير من صفحات التاريخ.. لذلك، فإن الدراما التاريخية تستطيع أن تستدعي صفحات ذلك التاريخ، لتنفث عموم البلوى - بلوى الغواية والخيانة لسائر أبناء الأقليات - ولتقول للأقليات المعاصرة - من المسلمين وغير المسلمين : إن الأمن والأمان.. وكذلك الشرف والكرامة، هو في الوحدة الوطنية والقومية والحضارية.. وليس في التعلق بحبال الغواية الاستعمارية، التي لا مكان لصفحاتها سوى في «مزيلة التاريخ»..



معاملة الأسرى

على الرغم مما قنته «اتفاقات جنيف» سنة ١٩٤٩م من فواعد تحكم بمعاملة أسرى الحروب... والمدن الذين يتحولون إلى ما يشبه الأسرى، في ظل الاحتلال العسكري لبلادهم.. إلا أن هذه القضية قد أثّرت بحدة في السنوات الأخيرة؛ وذلك بسبب المعاملات غير الإنسانية واللا أخلاقية والوحشية التي شاعت في معاملة الأسرى على ساحات الصراعات المعاصرة..

● فالشعب الفلسطيني، قد أصبح أسيراً لآلة الحرب الصهيونية، وللممارسات العنصرية اليهودية، محروفاً من أدنى حقوق الأسرى!.. فحتى جرحى هذا الشعب المجاهد يتركون لتصرف دماءهم فيموتون صبراً.. وتمنع سيارات الإسعاف من إنقاذ حياتهم.. بل وتضرب سيارات الإسعاف بالصواريخ الصهيونية، على نحو لا سابق له حتى في حروب النازيين والفاشين.. وربما التار أيضاً!.. ويتم ذلك، في حماية الهيمنة الغربية والأمريكية، التي صاغت دولها اتفاقات جنيف سنة ١٩٤٩م!..

أفراداً يعملون في خدمة المجهود الحربي لقوات الاحتلال الأمريكي في العراق.. حيث قتلت هذه الجماعات أفراداً من هؤلاء «الأسرى» أو المخطوفين» عندما لم تستجب دولهم أو الشركات التي يعملون بها لمطلب مقاطعة جيوش الاحتلال.. الأمر الذي أثار الكثير من التساؤلات الملحة حول الموقف الإسلامي من معاملة الأسرى.. وذلك على النحو الذي يشرح صفحات التاريخ الإسلامي في معاملة الأسرى، وكذلك صفحات التاريخ الغربي لإزاء هذا الموضوع. معاملة الأسرى. لتكون موضوعاً للدراما التي تستدعي هذا التاريخ ليحجب عن علامات الاستفهام التي قامت في واقعنا الراهن حول هذا الموضوع. «القديم - الجديد»..



وبادئ ذي بدء، فإن القرآن الكريم قد جعل المعاملة الحسنة للأسرى، وإيثارهم بالطعام. المحبوب والمطلوب. على النفس، صفة من صفات المؤمنين الأبرار، الذين وعدهم الله - سبحانه وتعالى - بهجات النعيم المقيم، فقال سبحانه: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٣٦﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٣٧﴾ يُوفُونَ بِالَّذِي وَعَدُوا يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ﴿٣٨﴾ وَيُطْعَمُونَ أَلْفَ طَعَامٍ عَلَى حَيْثُ وَنْيَتِهِمْ وَإِسْرَارًا ﴿٣٩﴾ إِنَّمَا تُطْعَمُونَ لِيُحْمَدَ اللَّهُ لَا تُبَدَّ مِنْكُمْ حَرَةٌ وَلَا شُكْرًا ﴿٤٠﴾ إِنَّا نَخْلَقُ مِنْ رَيْنًا عَيْنًا فَتَطِيرُ ﴿٤١﴾ فَوْقَهُمْ اللَّهُ شَرُّ ذَلِكَ أَلْوَمُ وَلَقَدْ لَبِثْتُمْ فِيهَا مُتَدَرِّجِينَ ﴿٤٢﴾ وَجَزَّاهُمْ بِمَا صَدَرُوا جَنَّةَ وَحَرِيرًا ﴿٤٣﴾﴾ [الإنسان: ٥ - ١٢].

ولقد جاءت هذه الآيات في سورة «الإنسان» الذي جاهد غرائز الانتقام من الأسرى. الذين قتلوا إخوانه وذويه. فتسامى فوق غرائز الانتقام هذه، في لحظات القوة والقدرة، وعامل الأسرى، الذين نَجَّروا من كل قوة، بهذا المستوى من مستويات الإنسانية والإيثارة..

ولقد ذكر «الماوردي» [٣٦٤ - ٤٥٠ هـ / ٩٧٤ - ١٠٥٨ م] أن هذه الآيات قد نزلت في الدين عهد إليهم رسول الله ﷺ رعاية الأسرى الذين أسروا في غزوة بدر [٢ هـ / ٦٢٤ م]. وكانوا من صناديد الشرك ... وفي قراءة أساء هؤلاء السبعة الذين عهد إليهم الرسول القائد بهذه المهمة دلالة لا يحطتها العقل.. فهم سبعة من العشرة الذين تكوَّنت منهم أولى الهبات الدستورية في الدولة الإسلامية - هيئة المهاجرين الأولين :-

أبو بكر الصديق [٥١ ق. هـ - ١٣ هـ / ٥٧٣ - ٦٣٤ م]، وعمر بن الخطاب [٤٠ ق. هـ - ٢٣ هـ / ٥٨٤ - ٦٤٤ م]، وعلي بن أبي طالب [٢٣ ق. هـ - ٤٠ هـ / ٦٠٠ - ٦٦١ م]، والزبير بن العوام [٢٨ ق. هـ - ٣٦ هـ / ٥٩٦ - ٦٥٦ م]، وعبد الرحمن بن عوف [٤٤ ق. هـ - ٣٢ هـ / ٥٨٠ - ٦٥٢ م]، وسعد بن أبي وقاص [٢٣ ق. هـ - ٥٥ هـ / ٦٠٠ - ٦٧٥ م]، وأبو عبيدة بن الجراح [٤٠ ق. هـ - ١٨ هـ / ٥٨٤ - ٦٣٩ م] - رضي الله عنهم أجمعين ..

تلك هي مكانة هذه الأمانة. الأسرى ... وتلك هي مكانة الأمانة على هذه الأمانة. في أول تطبيق إسلامي للبلاغ القرآني. الذي جاءت به سورة

الإنسان - في هذا الميدان..

أما المصير الذي حددته القرآن الكريم للأسرى، فلقد عينته آيات سورة «القتال - محمد»، وهو: إما المن بالتحريم والحرية دونما مقابل، وإما الفداء ﴿وَإِذَا لَيْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا فَتَرَبَّ الْأَقَابُ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْتُمُوهُمْ فَتَدُوا الْوَقَالَ فَإِذَا مَتَّأَ بَعْدَ وَإِنَّا فَنَأْتِيهِمْ حَتَّىٰ نَخَبِّعَهُمُ الْخُرُوبَ أَوْ أَرْبِقَ ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالُهُمْ ۖ ﴿١﴾ سَيَرْجِيهِمْ وَنُعْصِيهِمْ بِالْهَمِّ ۖ ﴿٢﴾ وَنُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَفَافًا ۖ هُمْ ۖ ﴿٣﴾﴾ [محمد: ٤ - ٦]..

فهذه المعاملة للأسرى - المن أو الفداء - هي «جهاد أكبر»، يدخل المؤمنون ميدانه بعد أن فرغوا من القتال - «الجهاد الأصغر»... وذلك عندما لا ينتصرون - بالقتل - من الأسرى - الذين قتلوا من قتلوا من المؤمنين في المعركة.. فالحفاظ على حياتهم، والمن عليهم بالحرية - دون مقابل أو بالفداء - هو جهاد واجلاء وامتحان من الله لعزائم المؤمنين، ولو شاء سبحانه لانتصر وانتقم هو من هؤلاء الأسرى - الذين قتلوا المؤمنين... فليس للمنتصرين أن ينتقموا من الأسرى، وفاء وقصاصا لشهداء المسلمين الذين قُتلوا بأيديهم، فلهؤلاء الشهداء عند الله من النعيم ما يذهب أية نوازع للانتقام من صدور إخوانهم المنتصرين.. لهم الجزاء الأوفى، والهدى، وصلاح البال، والنعيم المقيم في الجنات - ﴿وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالُهُمْ سَيَرْجِيهِمْ وَنُعْصِيهِمْ بِالْهَمِّ ۖ ﴿٢﴾ وَنُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَفَافًا ۖ هُمْ ۖ ﴿٣﴾﴾. فلا داعي للانتقام لهم من الأسرى.. وإنما هو المن أو الفداء..

ولقد كانت السنة النبوية الشريفة هي البيان الرسالي والتطبيق الأمين لهذا البلاغ القرآني.. وإذا كان الرسول ﷺ قد قتل واحداً أو اثنين من أسرى بدر.. كما نقول روايات التاريخ.. فإنهما لم يقتلا بحكم الأسر.. وإلا لطبق ذلك على كل الأسرى.. وإنما قتل من قتل قصاصاً من جرائم قتل ارتكباها، وكانا مطلوبين للقصاص فيها حتى قبل القتال والأسر.. فلا مجال للخط الجاهلين والمفترين بأن رسول الله ﷺ قد قتل أسرى يوم بدر.

أما المقاتلون من بني قريظة.. عقب غزوة الأحزاب [٥ هـ / ٦٢٧ م] فلم يقتلوا كأسرى، وإنما قتلوا جزاء خيانتهم، ووفق حكم التحكيم الذي اختاروه هم واختاروا حكمه.. فلم يكونوا أسرى معركة قتالية، وإنما كانوا خونة للعهود والمواثيق ساعة الشدة والعسرة يوم غزوة الأحزاب، عندما انحازوا إلى الأعداء..

هذا هو الموقف الإسلامي من الأسرى.. كما حددته الآيات المحكمة في القرآن الكريم.. وكما وضعه رسول الله ﷺ في الممارسة والتطبيق..

ولقد مضى هذا الموقف الإسلامي سنة متبعة على امتداد تاريخ الإسلام.. فلم يسلك المسلمون سبيل الانتقام من الأسرى، حتى عندما سلك الغزاة الغربيون سبيل القتل لأسرى المسلمين، طوال ذلك التاريخ!..



● فالصليبيون الذين غزوا القدس [٤٩٢ هـ / ١٠٩٩ م] قد ذبحوا وأحرقوا كل من وقع في أيديهم من المسلمين، حتى الشيوخ والنساء

والأطفال . ذبحوا سبعين ألفاً . حتى الذين احتضوا بمسجد قبة الصخرة .
مسجد عمر بن الخطاب . ذبحوا وسحقت حيول الصليبيين في دماءهم إلى
لحم الخيل . كما نقل ذلك عن شهود العيان رجل الدين النصراني صاحب
كتاب [تاريخ الحروب المقدسة في الشرق] . ١١ . .

ولم يغترف حرم قتل الأسرى والمدنيين غير المشركين فمرسان الإقطاع
الصليبيون وحدهم . بل لقد كان رجال الدين النصارى . نعم رجال
الدين ! . في مقدمة الذين احترحوا هذه الفظائع والسيئات . . ولقد وصف
المؤرخ الأوروبي «ميشائيل درسير» صبيح «البطريك نفسه في هذه
المذبحة . . عندما كان يعدو في أزقة بيت المقدس، وسيفه يقطر دماً،
حاصداً به كل من وجده في طريقه، ولم يتوقف حتى بلغ كنيسة القيامة
وقبر المسيح، فأخذ في غسل يديه تخلصاً من الدماء اللاصقة بها، مردداً
كلمات المزمور: «يفرح الأبرار حين يرون عقاب الأشرار، ويفسلون
أقدامهم بدمهم، فيقول الناس: حقاً إن للصديق مكافأة وإن في الأرض
إلهاً يقضي» . المزمور ٥٨ : ١٠ - ١١ . .

ثم أخذ في أداء القداس، قائلاً: «إنه لم يتقدم في حياته للرب بأي
قربان أعظم من ذلك ليرضى به الرب» (٢١) .

هنا، يمكن للدراما التاريخية أن تقدم الفن الذي يعرض لوتين من
«الأبرار» . . أبرار يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة، فيقطعون
الطعام على حبه مسكيناً ويتيمماً وأميراً . . ويجاهدون نوازح النار وغرائر

الانتقام من الأسرى الذين قتلوا إخوانهم، مرجحين ومختارين الطاعة لله،
الذي لو شاء لانتصر وانتقم منهم، والذي جعل للشهداء نعيمًا يداوي
التذكير به نوازح الثأر ويذهب بغرائز الانتقام.

وفي المقابل . الغربي . هناك «أبرار» يقرحون عندما يقتلون بدماء
الأسرى.. زاعمين أن هذا هو القضاء الإلهي، مكافأة للصدّيقين.. والقربان
الأعظم الذي يتقربون به إلى الله!!..

فالرب هنا هو رب الجنود، المتعطش للدماء.. الذي جعل - برغمهم -
سفك دماء الأسرى أعظم القربات الحالية لرضاء!

● وفي مقابل هذه الصفحة . الغربية . من صفحات التعامل مع
الأسرى، يمكن للدراما التاريخية أن تعرض صليح صلاح الدين الأيوبي
[٥٦٤ - ٥٨٩ هـ / ١١٦٩ - ١١٩٣ م] مع الأسرى، إبان حروب التحرير
للمدن والبقاع التي صنع الصليبيون هذا الذي صنعوه مع أسراها
المسلمين.. وهي صفحة مليئة بالوقائع المضيئة، والقصص الإنسانية،
والأخلاقيات السامية للقروسية الإسلامية، التي شهد بها الغربيون قبل
المسلمين!

● وصفحة أخرى من صفحات تاريخ التعامل مع الأسرى.. سطرقتها
وقائع الغزوة الصليبية لميناء «دمياط» - بشمالي مصر... فعندما دخل
الصليبيون مدينة دمياط . [في ٦ ذي القعدة سنة ٦١٥ هـ / يناير سنة
١٢١٩ م] - ماذا صنعوا بالأسرى والمستضعفين من المدنيين غير المحاربين؟..

تقول الشهادات الغربية: «إنهم أبادوا جميع من بها، بناء على أوامر البابا ومبعوثيه الكرادلة ورجال الكنيسة»!

● وفي مقابل هذا الموقف.. ماذا كان صنيع المسلمين، بقيادة السلطان الأيوبي «الملك الكامل» [٥٧٦ - ٦٣٥هـ / ١١٨٠ - ١٢٣٨م] في معركة تحرير «دمياط» [٦١٨هـ - ١٢٢١م]؟ أي ماذا صنع المسلمون مع الأسرى الصليبيين، الذين سبق وأبادوا جميع الأسرى المسلمين؟..

مرة أخرى، تشهد المصادر الغربية على «أن الملك الكامل عندما انتصر على هذه الحملة الصليبية، أكرم أسراهم، ولم يقتص منهم: العين بالعين والسن بالسن، وإنما أطعمهم في مسغبة أربعة أيام طويلاً، مرسلاً إلى جيشهم المتضور جوعاً كل يوم ثلاثين ألف رغيف، ومواد غذائية أخرى».

ولقد شهد بهذا الإكرام أحد هؤلاء الأسرى - عالم الفلسفة اللاهوتية القسيس «أوليفروس» - من كولونيا.. على نهر الراين، بألمانيا - فكتب رسالة إلى الملك الكامل، قال فيها:

«منذ تقادم العهود، لم يسمع المرء بمثل هذا الترفق والجود، خاصة مع أسرى العدو اللدود. ولما شاء الله أن نكون أسراك، لم نعرفك مستبداً طاغية، ولا سيذاً ذاهية، وإنما عرفناك أباً رحيمًا، شملنا بالإحسان والطيبات، وعونا منقذاً في كل النوائب والملمات. ومن ذا الذي يمكن أن يشك لحظة في أن مثل هذا الجود والتسامح والرحمة من عند الله؟..»

إن الرجال الذين قتلنا آباءهم، وأبناءهم، وبناتهم، وإخوانهم، وأخواتهم، وأذقناهم مر العذاب، لما غدونا أسراهم، وكدنا نفوسهم جوعاً، راحوا يؤثرونا على أنفسهم على ما بهم من خصاصة، وأسدوا إلينا كل ما استطاعوا من إحسان، بينما كنا نحن تحت رحمتهم لا حول لنا ولا سلطان»^(٢٢).

لقد كتب القسيس والفيلسوف اللاهوتي الألماني «أوليفروس» هذا الذي كتبه، ليس كمجرد شاهد عيان، وإنما عن تجربة شارك بها في قتل المسلمين الأسرى، ثم إذا هو - عندما وقع أسيراً مع جيشه الصليبي - يجد المسلمين الذين قُتل أهلهم أسرى - يؤثرونه وزملاءه على أنفسهم - مع الخصاصة... كتب هذا الرجل ذلك، دون أن يدري أن هؤلاء المسلمين إنما كانوا يقيمون الدين الإسلامي، ويجسدون الوحي القرآني الذي نزل به الروح الأمين على قلب الصادق الأمين - عليه الصلاة والسلام - في معاملة الأسرى.. فهو دين.. وهي سماحة الإسلام.. وليست مجرد أريحية لحاكم من الحكام، أو شعب من الشعوب.. ولعل عبارة هذا «القسيس - الأسير» قد أشارت إلى هذه الحقيقة عندما قال - عن هذه المعاملة الإسلامية للأسرى -: «ومن ذا الذي يمكن أن يشك لحظة في أن مثل هذا الجود والتسامح والرحمة من عند الله؟».



● وإذا كان الغرب الذي أدهشته السباحة الإسلامية عند صلاح الدين الأيوبي، والملك الكامل، قد حاول بعض كتابه أن يقدموا الملك الإنجليزي الصليبي «ريتشارد قلب الأسد» [١١٨٩ - ١١٩٩م] في صورة تشبه صورة صلاح الدين، فإن قضية معاملة الأسرى - بشهادة الغربيين أنفسهم - قد فضحت هذه المحاولات.. وكما تقول المستشرقة الألمانية «سيجيريد هونكة».

«ففي حين تمكن صلاح الدين الأيوبي من استرداد بيت المقدس [٥٨٣هـ / ١١٨٧م] التي كان الصليبيون قد انتزعوها من قبل [٤٩٢هـ / ١٠٩٩م] بعد أن سفكوا دماء أهلها في مذبحه لا تدانيها مذبح وحشية وقسوة، فإن صلاح الدين لم يسفك دم سكانها من النصارى انتقاما لسفك دم المسلمين، بل إنه شملهم بمروءته، وأسبغ عليهم من جوده ورحمته، ضاربا المثل في التخلق بروح القروسية العالية».

ثم تمضي هذه الشهادة الغربية، لتقارن ذلك بما صنعه الملك «ريتشارد قلب الأسد» من الإبادة لأسرى المسلمين، بعد أن قطع لهم عهد الأمان!!! فتقول:

«وعلى العكس من المسلمين، لم تعرف القروسية النصرانية أي التزام خلقي تجاه كلمة الشرف أو الأسرى.. فالملك ريتشارد قلب الأسد، الذي أقسم بشرفه لثلاثة آلاف أسير عربي أن حياتهم آمنة، إذ

هو فجأة متقلب المزاج، فيأمر بذبحهم جميعاً»^{١١٢٣}

● وتستمر صفحات تاريخ هذا الصراع، في تقديم الوقائع والمواقف والدروس والعبر والعظات للدراما التاريخية - في هذا الميدان: التعامل مع الأسرى بين الشرق الإسلامي والغرب الاستعماري - فجد موقف الحملة الفرنسية، التي قادها «بونابرت» [١٧٦٩ - ١٨٢١ م] والتي جاءت إلى بلادنا رافعة أعلام الثورة الفرنسية، وشعارات «الحرية» و«الإخاء» و«المساواة»، و«فلسفة الأنوار».. نجد موقفها من الأسرى متحسدا في صنع بونابرت [١٢١٤ هـ / ١٧٩٩ م] مع أهل مدينة «يافا». في فلسطين. ومع آلاف الجنود الذين وقعوا في الأسر، والذين استسلموا بعد أخذهم الأمان على حياتهم.. إن الدراما التاريخية مدعوة لاستدعاء هذه الصفحة من صفحات التعامل الفرنسي مع الأسرى المسلمين، والتي صنعها «بونابرت» سنة ١٧٩٩ م. أي في الذكرى السبعمئة لصنع الصليبيين الأول بمدينة القدس وأسراها!.

ولقد سجل المؤرخون الفرنسيون هذه الصفحة، ونقلها عنهم المؤرخ الوطني عبدالرحمن الراجعي [١٣٠٦ - ١٣٨٦ هـ / ١٨٨٩ - ١٩٦٦ م] فقال: «لقد وصل نابوليون بجيشه تجاه يافا يوم ٣ مارس ١٧٩٩ م، وكان الجيش العثماني، بقيادة عبدالله باشا الجزائر [١١٣٢ - ١٢١٩ هـ / ١٧٢٠ - ١٨٠٤ م] مُتعا بها، فحاصرها نابوليون بجنوده، واستولى عليها يوم ٧ مارس، بعد معركة شديدة قتل فيها من الجنود العثمانية نحو

٢٠٠٠ قتيل، ودخل الفرنسيون المدينة، وأعملوا فيها السيف والنار.

لقد نهب الجنود الفرنسية يافا، وارتكبوا فيها من الفظائع ما تقشعر منه الأبدان - باعترااف المؤرخين الفرنسيين - واستمر النهب والقتل يومين متوالين، واضطر الجنرال «روبان - robin» الذي عينه نابوليون قائداً للمدينة - أن يقتل بعض الجنود لإعادة النظام، فذهب جهده عبثاً. ولم ينقطع النهب إلا بعد أن كَلَّ الجنود من الاعتداء وسفك الدماء.

ويقول بعض المؤرخين: إن الدماء التي سفكت في يافا، وأشلاء الجثث التي تركت بها عدة أيام، كانت من أسباب انتشار الوباء بين العسكر، وهو الوباء الذي كان من العوامل الرئيسية لإخفاق الحملة الفرنسية على سورية^(٢٤).

فنفس الذي حدث بالقدس - سنة ١٠٩٩م - حدث في يافا - سنة ١٧٩٩م... عندما استمرت المجزرة والإبادة للأبرياء والأسرى حتى «كَلَّتْ أيدي القتلة» من القتل والذبح وسفك الدماء... وهذا التعبير: «كَلَّتْ الأيدي من القتل» نجده - بالحرف - في وصف مجزرة القدس سنة ١٠٩٩م بكتاب [تاريخ الحروب المقدسة في الشرق المدعوة حرب الصليب] - المجلد الأول ص ١٧٤... كما نجده - بالحرف - في وصف المذبحة الفرنسية في يافا سنة ١٧٩٩م!!..

كما نجد ما صنعه الملك الإنجليزي «ريتشارد قلب الأسد» مع آلاف الأسرى المسلمين، الذين دبحهم بعد أن أعطى لهم الأمان... يعيد صنعه

القائد الفرنسي «بونابرت» عقب استيلائه على يافا سنة ١٧٩٩م، مع ثلاثة آلاف من أسرى الجيش العثماني، الذين أقتهم على حياتهم، ثم غدر بهم وذبحهم، في محجرة وصفها المؤرخون الفرنسيون، ونقل وصفها عنهم المؤرخ عبد الرحمن الرافعي، فقال:

«ولم يكذب ينقطع النهب لمدينة يافا، حتى أعقبته مأساة أخرى أشد هولاً وفظاعة، ذلك أنه بعد انتهاء المعركة ودخول الفرنسيين المدينة، كان بها من الجنود العثمانية نحو ثلاثة آلاف مقاتل، أثروا التسليم وإلقاء السلاح في يد الفرنسيين بشروط اتفقوا عليها مع اثنين من ياوران نابوليون، وهما «بورهارنيه - Beauharnais» و«كروازيه - Croisier»، ومن هذه الشروط: أن تضمن لهم أرواحهم بعد التسليم، وتعهد الياوران بذلك باسم القائد العام - [بونابرت] - وتلقاهم الفرنسيون كأُسرى حرب، ولكن نابوليون، بعد أن فكر طويلاً في أسرههم، وتردد في شأنهم، أمر بإعدامهم جميعاً رمياً بالرصاص. وحجته في ذلك أنه كان عاجزاً عن إطعامهم وحراستهم في بلاد نائية لم يستب له فيها الأمر!!.. فسيق أولئك الأسرى إلى شاطئ البحر وأعدموا جميعاً رمياً بالرصاص!!»

ولقد نقل الرافعي عن المؤرخ «ريو» - صاحب كتاب [التاريخ العلمي والحربي للحملة الفرنسية] - تأثير هذه المحجرة وعواقبها، الذي قال فيه: «إن ثلاثة آلاف من الأعداء قتلوا مرة واحدة. ولكن الجنود الباقين قد زاد عددهم، وتضاعفت جهودهم للأخذ بالتآمر، ورأوا في مصير إخوانهم

الذين ذبحهم الفرنسيون نموذجاً للإنسانية الفرنسية، فأصبح القتال
بينهم وبين الجيش الفرنسي صراعاً إلى الموت. وحصد نابليون تحت
أسوار عكا ما غرسه على شاطئ يافا،^(٢٥) ١١



تلك نماذج شاهدة - وهي مجرد نماذج - لصفحات من التاريخ،
ملينة بالوقائع والدروس والعبر والعظات والدلالات والإيهات:

١ - صفحة التحالفات غير المقدسة ضد الإسلام والمسلمين.. التي نواجهها
اليوم .. كما واجهها أسلافنا منذ فجر تاريخ الإسلام.. وعبر هذا
التاريخ..

٢ - و صفحة الكيانات الاستعمارية المعروسة قسراً في قلب
وطن الأمة.. تلك التي نواجهها اليوم على أرض فلسطين.. والتي
واجهها أسلافنا.. على ذات الأرض.. في تاريخنا الإسلامي الوسيط..
٣ - و صفحة الغواية الاستعمارية للأقليات في بلاد الإسلام.. تلك التي
نواجهها اليوم... والتي واجهناها منذ الحروب الصليبية، وحتى الغزوة
الاستعمارية الحديثة لبلادنا..

٤ - و صفحة التعامل مع الأسرى.. وكيف تعامل معها الإسلام وأمنه
وحضارته.. وكيف وقف منها الغرب.. موقف الغدر والحيانة والإبادة..
على امتداد تاريخ صراعه مع الإسلام؟



وإذا كانت هذه الصفحات . من التاريخ . هي مجرد نماذج وإشارات ..
فإن هناك صفحات:

● التاريخ الإسلامي في الانفتاح على الحضارات غير الإسلامية..
وسير وجهود العلماء الذين أبدعوا في مختلف ميادين العلم المدني منذ فجر
ظهور الإسلام..

● والتاريخ الإسلامي في ميادين التربية وتهذيب القلوب..

● والتاريخ الإسلامي للمجاهدين الذين فضلوا الرباط على ثغور
الإسلام على العكوف في المحارب..

● والتاريخ الإسلامي لتحرير المرأة.. والذي صنع . في مدرسة النبوة .
قيادات وريادات نسائية، شاركت في إقامة الدين وبناء الدولة وصناعة
الحضارة.. واستمرت تعطي وتعلم وتبدع . عبر تاريخنا الحضاري . رغم ما
أصاب حضارتنا من تراجع وهبوط وجمود..

● والتاريخ الإسلامي مع الحوارج، الذين مثلوا نزيها للدولة الإسلامية
والمجتمعات الإسلامية.. دون أن يحققوا أكثر من هذا التزييف!..

● والتاريخ الإسلامي للمؤسسات الوقف، التي مولت . أهليا . صناعة
الحضارة الإسلامية، وإقامة العدل الاجتماعي على مر هذا التاريخ.

وغيرها.. الكثير.. والكثير من صفحات التاريخ.

إنها صفحات، يمكن للدراما التاريخية أن تقدمها من خلال وسائل

الإعلام المعاصر؛ لتثقيف الأمة بالقيم الإسلامية، المقارنة بالسلوكيات الغربية.. ولتصحح المفاهيم الإسلامية المعاصرة، بحقائق الإسلام وتاريخ أمنه.. ولترد كيد المفرنين على الإسلام وأمنه وحضارته وتاريخه، بسلاح الفن، الذي تفوق في التأثير على الكتاب المقروء.. وبالدراما، التي يتحلق حول أفلامها وتمثيلاتها عشرات الملايين، الذين لم تلمس أصابعهم صفحات كتاب في يوم من الأيام.



وبقدر ما يكون الإحسان في اختيار المادة التاريخية الأكثر صدقا في التعبير عن المقاصد المبتغاة.. وبقدر ما يكون الصدق والإخلاص في الوعي بالتاريخ.. وفي الوعي بتحديات واقعنا المعيش.. وبقدر ما يكون الأداء الفني الأقدر على توصيل الرسالة للمشاهدين.. وبقدر ما تكون القيم الإسلامية حاضرة وحاكمة في الصياغة الفنية للمادة التاريخية.. وفي الإخراج والتمثيل، بقدر ما يكون رجحان المصالح على المفاصد، والإيجابيات على السلبيات.. واقترب «الواقع - الممكن» من «المثال - الملهم»، في هذا الميدان الذي تتمنى أن يستبق فيه المتسابقون على طريق تحقيق الخير للإسلام والمسلمين.



الهوامش

- (١) الطهطاوي [الأعمال الكاملة لرفاعة الطهطاوي] ج ٢ ص ١١٩ - ١٢١. دراسة وتحقيق: د. محمد عمارة. طبعة بيروت سنة ١٩٧٣م.
- : ونلاحظ - من دهشة الطهطاوي لما يقدمه اللاعنون على المسرح من معارف وأشعار - أنه أن ذلك من إبداعهم - بينما هي أدلوة محفوظة - كما يعرف الجميع..!
- (٢) علي مارك [الأعمال الكاملة لعلي مارك] ج ١ ص ٥٩٩ - ٦٢٥ - المسامرة السابعة والعشرون (الثاني). دراسة وتحقيق: د. محمد عمارة. طبعة بيروت سنة ١٩٧٩م. وج ٢ ص ٢٠٨ - ٢١٠ - المسامرة الثانية والثمانون (الثالث). طبعة بيروت سنة ١٩٨٠م.
- (٣) المصدر السابق. ج ١ المسامرة السابعة والعشرون (الثاني).
- (٤) عبدالرحمن الرافعي [الثورة العراقية] ص ٥٧٤ طبعة القاهرة سنة ١٣٨٥ هـ سنة ١٩٦٦م.
- (٥) عبدالرحمن الرافعي [مصطفى كامل باعث الحركة الوطنية] ص ٣٩. طبعة القاهرة سنة ١٣٨١ هـ سنة ١٩٦٢م.
- (٦) د. محمد عمارة [معارك العرب ضد الغزاة] ص ٢٠٢ - ٢٠٤ طبعة القاهرة سنة ١٩٩٨م.

(٧) المرجع السابق. ص ٤٣، ٧٤، ٧٥.

(٨) يوحنا القبوسي [تاريخ مصر ليوحنا القبوسي: رؤية قبطية للمفتح الإسلامي] ص ٢٠١، ٢٠٢. ترجمة ودراسة د. عمر صابر عبدالحلِيل. طبعة القاهرة سنة ٢٠٠٠م.

(٩) المصدر السابق. ص ٢٢٠.

(١٠) د. صبري أبو الخير سليم [تاريخ مصر في العصر البيزنطي] ص ٦٢. طبعة القاهرة سنة ٢٠٠١م.

(١١) جورج فرم [تعدد الأديان ونظم الحكم] ص ٢١١ - ٢٢٤. طبعة بيروت سنة ١٩٧٩م. . والنقل عن: د. سعد الدين إبراهيم [الملل والنحل والأعراق] ص ٧٢٩، ٧٣٠. طبعة القاهرة سنة ١٩٩٠م.

(١٢) مذكرات موسى شاريت . في يوم ١٨ مارس سنة ١٩٥٤م . والنقل عن: محمد السماك [الأقليات بين العروبة والإسلام] ص ١٤٢، ١٤٣. طبعة بيروت سنة ١٩٩٠م.

(١٣) موسى فرجي [إسرائيل وحركة تحرير جنوب السودان] طبعة مركز ديان لأبحاث الشرق الأوسط وأفريقيا . التابع لجامعة تل أبيب . والنقل عن: د. عثمان أبو زيد: صحيفة (العالم الإسلامي) . مكة . عدد ١٢٥٢ في ٨ / ٤ / ٢٠٠٤م.

(١٤) [ندوة الموقف الإسرائيلي من الجماعات الإثنية والطائفية في العالم الإسلامي] ص ٦ - ١٠، ٢٧. طبعة القاهرة . الدار العربية للدراسات والنشر . سنة ١٩٩٢م.

(١٥) مكسيموس مونروند [تاريخ الحروب المقدسة في الشرق المدعوة حرب الصليب] المجلد الأول ص ١٧٣، ١٨٠، ١٨١. ترجمة: مكسيموس مظلوم. طبعة أورشليم سنة ١٨٦٥م.

(١٦) المقريري [كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك] ج ١ ق ٢ ص ٤٢٢، ٤٣٢ تحقيق: د. محمد مصطفى زيادة. طبعة القاهرة سنة ١٩٥٦ م.

(١٧) المصدر السابق. ج ١ ق ٢ ص ٤٣٢.

(١٨) الجبرتي [مظهر التقديس بزوال دولة الفرنسيين] ص ١١٢. تحقيق: حسن محمد جوهر، عمر الدسوقي. طبعة القاهرة سنة ١٣٨٩ هـ سنة ١٩٦٩ م.

(١٩) المصدر السابق. ص ١١٧.

(٢٠) الجبرتي [عجائب الآثار في التراجم والأخبار] ج ٥ ص ١٣٤، ١٣٦. تحقيق: حسن محمد جوهر، عمر الدسوقي، السيد إبراهيم سالم. طبعة القاهرة سنة ١٩٦٥ م.

(٢١) سيجريد هوتكة [الله ليس كذلك] ص ٢٢. طبعة القاهرة سنة ١٩٩٥ م.

(٢٢) المرجع السابق. ص ٣٣، ٣٤.

(٢٣) المرجع السابق. ص ٣٤.

(٢٤) عبد الرحمن الرافعي [تاريخ الحركة القومية] ج ٢ ص ٦٩. طبعة القاهرة سنة ١٣٧٨ هـ سنة ١٩٥٨ م.

(٢٥) المصدر السابق. ج ٢ ص ٣٠.



المراجع

□ الجبرتي:

- «مظهر الشفيع يروال دولة الفرنسيس»، تحقيق: حسن محمد جوهري، عمر الدسوقي طبعة القاهرة سنة ١٣٨٩ هـ سنة ١٩٦٩ م.
- «عجائب الآثار في التراجم والأخبار»، تحقيق: حسن محمد جوهري، عمر الدسوقي، السيد إبراهيم سالم، طبعة القاهرة سنة ١٩٦٥ م.

□ د. جورج قرق:

- «تعدد الأديان ونظم الحكم»، طبعة بيروت سنة ١٩٧٩ م.

□ د. سعد الدين إبراهيم:

- «الملل والتحل والأعراق»، طبعة القاهرة سنة ١٩٩٠ م.

□ د. سيجريد هونكة:

- «الله ليس كذلك»، ترجمة: د. غريب محمد غريب، طبعة القاهرة سنة ١٩٩٥ م.

□ د. صبري أبو الخير سليم:

- «تاريخ مصر في العصر البيزنطي»، طبعة القاهرة سنة ٢٠٠١ م.

□ الطهطاوي:

- «الأعمال الكاملة لرفاعة الطهطاوي»، دراسة وتحقيق: د. محمد عمارة، طبعة بيروت سنة ١٩٧٣م.

□ عبدالرحمن الرافعي:

- «الثورة العرابية»، طبعة القاهرة سنة ١٣٨٥هـ سنة ١٩٦٦م.
- «مصطفى كامل: باعث الحركة الوطنية»، طبعة القاهرة سنة ١٣٨١هـ سنة ١٩٦٢م.
- «تاريخ الحركة الوطنية»، طبعة القاهرة سنة ١٣٧٨هـ سنة ١٩٥٨م.

□ علي مبارك:

- «الأعمال الكاملة لعلي مبارك»، دراسة وتحقيق: د. محمد عمارة، طبعة بيروت سنة ١٩٧٩م، سنة ١٩٨٠م.

□ محمد السماك:

- «الأقليات بين العروبة والإسلام»، طبعة بيروت سنة ١٩٩٠م.

□ د. محمد عمارة:

- «معارك العرب ضد الغزاة»، طبعة القاهرة سنة ١٩٩٨م.

□ المقرئزي:

- «كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك»، تحقيق: د. محمد مصطفى زيادة، طبعة القاهرة سنة ١٩٥٦م.

□ مكسيموس مونروند:

- «تاريخ الحروب المقدسة في الشرق: المدعوة حرب الصليب»،
ترجمة: مكسيموس مظلوم. طبعة أورشليم سنة ١٨٦٥م.

□ موشي فرجي:

- «إسرائيل وحركة تحرير جنوب السودان»، طبعة مركز ديان لأبحاث
الشرق الأوسط وأفريقيا . جامعة تل أبيب.

□ ندوة:

- «ندوة الموقف الإسرائيلي من الجماعات الإثنية والطائفية في العالم
الإسلامي»، طبعة الدار العربية للدراسات والنشر . القاهرة سنة
١٩٩٢م.

□ يوحنا النقيوسي:

- «تاريخ مصر ليوحنا النقيوسي: رؤية قبطية للفنح الإسلامي»، ترجمة
ودراسة: د. عمر صاير عبدالحلِيل. طبعة القاهرة سنة ٢٠٠٠م.



□ الدكتور محمد عمارة

□ ١. سيرة ذاتية.. في نقاط:

- مفكر إسلامي .. ومؤلف .. ومحقق .. وعضو «مجمع البحوث الإسلامية» - بالأزهر الشريف.
- ولد بريف مصر - ببلدة «صرو»، مركز «قلين»، محافظة «كفر الشيخ» - في ٢٧ من رجب سنة ١٣٥٠هـ - ٨ من ديسمبر سنة ١٩٣١م - في أسرة ميسورة الحال - ماديا - تحرف الزراعة .. وملتزمة دينيا ..
- قبل مولده، كان والده قد تقرر للذ: إذا جاء المولود ذكرا، أن يسميه محمدا، وأن يهيه للعلم الديني - أي يطلب العلم في الأزهر الشريف.
- حفظ القرآن وجموده به «كتاب» القرية .. مع تلقي العلوم المدنية الأولية بمدرسة القرية - مرحلة التعليم الإلزامي ..
- في سنة ١٣٦٤هـ / ١٩٤٥م التحق «بمعهد سوق الديني الابتدائي» - التابع للجامع الأزهر الشريف ... ومنه حصل على شهادة الابتدائية سنة ١٣٦٨هـ ١٩٤٩م.
- وفي المرحلة الابتدائية - النصف الثاني من أربعينات القرن العشرين - بدأت تفتح وتنمو اهتماماته الوطنية والعربية والإسلامية، والأدبية

والثقافية .. فشارك في العمل الوطني - قضية استقلال مصر ..
والقضية الفلسطينية - بالخطابة في المساجد .. والكتابة - نثراً وشعراً -
وكان أول مقال نشرته له صحيفة «مصر الفتاة»، - بعنوان «جهاد» -
عن فلسطين - في أبريل سنة ١٩٤٨ م .. وتطوع للتدريب على حمل
السلاح ضمن حركة مناصرة القضية الفلسطينية .. لكن لم يكن له
شرف الذهاب إلى فلسطين.

● في سنة ١٩٤٩ م، التحق «بمعهد طنطا الأحمدى الدينى الثانوى» -
التابع للجامع الأزهر الشريف .. ومنه حصل على الثانوية الأزهرية
سنة ١٣٧٣هـ / ١٩٥٤ م.

● وواصل - في مرحلة الدراسة الثانوية - اهتماماته السياسية والأدبية
والثقافية .. ونشر شعراً ونثراً في صحف ومجلات «مصر الفتاة»،
و«منبر الشرف»، و«المصري»، و«الكاتب» .. وتطوع للتدريب على
السلاح بعد إلغاء معاهدة ١٩٣٦ م في سنة ١٩٥١ م.

● في سنة ١٣٧٤هـ / ١٩٥٤ م التحق «بكلية دار العلوم» - جامعة
القاهرة .. وفيها تخرج، ونال درجة «الليسانس» في اللغة العربية
والعلوم الإسلامية - ولقد تأخر تخرجه - بسبب نشاطه السياسي - إلى
سنة ١٩٦٥ م بدلاً من سنة ١٩٥٨ م ..

● وتواصل - في مرحلة الدراسة الجامعية - نشاطه الوطني والأدبي
والثقافي .. فشارك في «المقاومة الشعبية»، بمنطقة قناة السويس، إبان
مقاومة الغزو الثلاثي لمصر سنة ١٣٧٥هـ / ١٩٥٦ م ..

● ونشر المقالات في صحيفة «المساء» - المصرية - ومجلة «الآداب» - البيروتية .. وألف ونشر أول كتبه عن «القومية العربية» سنة ١٩٥٨م.

● بعد التخرج في الجامعة، أعطى كل وقته - تقريباً - وجميع جهده لمشروعه الفكري، فجمع وحقق ودرس الأعمال الكاملة لأبرز أعلام اليقظة الإسلامية الحديثة: رفاة رافع الطهطاوي .. وحمال الدين الأفغاني .. ومحمد عبده .. وعبد الرحمن الكواكبي .. وعلي مبارك .. وفاسم أمين .. وكتب الكتب والدراسات عن أعلام التجديد الإسلامي .. مثل: الدكتور عبدالرزاق السنهوري باشا .. والشيخ محمد الغزالي .. وعمر مكرم .. ومصطفى كامل .. وغير الدين التونسي .. ورشيد رضا .. وعبد الحميد بن باديس .. ومحمد الخضر حسين .. وأبي الأعلى المودودي .. وحسن البنا .. وسيد قطب .. والشيخ محمود شلتوت .. إلخ.

● ومن أعلام الصحابة الذين كتب عنهم: عمر بن الخطاب .. وعلي بن أبي طالب .. وأبو ذر الغفاري .. وأسماء بنت أبي بكر .. كما كتب عن تيارات الفكر الإسلامي - القديمة والحديثة - وعن أعلام التراث الإسلامي، مثل: غيلان الدمشقي .. والحسن البصري .. وعسرو بن عبيد .. والنفس الزكية، محمد بن الحسن .. وعلي بن محمد .. والماوردي .. وابن رشد (الحفيد) .. والعز بن عبد السلام .. إلخ.

● وتناولت كتبه - التي تجاوزت المائة والخمسين - السمات المميزة

للحضارة الإسلامية .. والمشروع الحضاري الإسلامي .. والمواجهة مع الحضارات الغازية والمعادية .. وتيارات العلمنة والتغريب .. وصفحات العدل الاجتماعي الإسلامي .. والعقلانية الإسلامية.

● وحاور وناظر العديد من أصحاب المشاريع الفكرية الوافدة ..

● وحقق عددًا من نصوص التراث الإسلامي - القديم منه والحديث ...

● وكجزء من عمله العلمي ومشروعه الفكري، حصل - من كلية دار العلوم - في العلوم الإسلامية - تخصص الفلسفة الإسلامية - على الماجستير سنة ١٣٩٠هـ/ سنة ١٩٧٠م. بأطروحة عن «المعتزلة ومشكلة الحرية الإنسانية» .. وعلى الدكتوراه سنة ١٣٩٥هـ/ سنة ١٩٧٥م، بأطروحة عن «الإسلام وفلسفة الحكم» ..

● أسهم في تحرير العديد من الدوريات الفكرية المتخصصة .. وشارك في العديد من الندوات والمؤتمرات العلمية في وطن العروبة وعالم الإسلام وخارجهما .. كما أسهم في تحرير العديد من الموسوعات السياسية والحضارية والعامة، مثل: «موسوعة السياسة»، و«موسوعة الحضارة العربية»، و«موسوعة الشروق»، و«موسوعة المفاهيم الإسلامية»، و«الموسوعة الإسلامية العامة»، و«موسوعة الأعلام» ... إلخ.

● نال عضوية عدد من المؤسسات العلمية والفكرية والبحثية، منها: «المجلس الأعلى - للشئون الإسلامية» - بمصر .. و«المعهد العالمي للفكر الإسلامي» - بواشنطن .. و«مركز الدراسات الحضارية» - بمصر ..

والمجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية - مؤسسة آل البيت .
بالأردن ... والمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف ..

● حصل على عدد من الجوائز والأوسمة .. والشهادات التقديرية ..
والدروع .. منها: «جائزة جمعية أصدقاء الكتاب» . بليتان . سنة
١٩٧٢م .. وجائزة الدولة التشجيعية - بمصر - سنة ١٩٧٦م .. ووسام
العلوم والفنون .. من الطبقة الأولى - بمصر - سنة ١٩٧٦م .. وجائزة
علي وعثمان حافظ - لمفكر العام - سنة ١٩٩٣م .. وجائزة المجمع
الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية - سنة ١٩٩٧م .. ووسام التيار
القومي الإسلامي - الفائد المؤسس - سنة ١٩٩٨م ..

● تجاوزت أعماله الفكرية . تأليفًا وتحقيقًا . مائة وخمسين كتابًا، وذلك
غير ما نشر له في الصحف والمجلات ..

● ترجم العديد من كتبه إلى العديد من اللغات الشرقية والغربية .. مثل:
التركية، والمالايية، والفارسية، والأوردية، والإنجليزية، والفرنسية،
والروسية، والإسبانية، والألمانية، والألبانية. .

● الاسم - رياضيًا :- محمد عمارة مصطفى عمارة . .

● العنوان: جمهورية مصر العربية - ١٣ ب شارع كورنيش النيل.
أغاثان. القاهرة . هاتف ٢٠٥٥٦٦١ - فاكس ٢٠٥٥٦٦٢ .

□ ٢ . ثبت بأعماله الفكرية:

١. تأليف:

- ١ . معالم المنهج الإسلامي - دار الرشاد - القاهرة سنة ١٩٩٧م.
- ٢ . الإسلام والمستقبل - دار الرشاد - القاهرة سنة ١٩٩٧م.
- ٣ . نهضتنا الحديثة بين العلمانية والإسلام - دار الرشاد - القاهرة سنة ١٩٩٧م.
- ٤ . معارك العرب ضد الغزاة - دار الرشاد - القاهرة سنة ١٩٩٨م.
- ٥ . الغارة الجديدة على الإسلام - دار الرشاد - القاهرة سنة ١٩٩٨م.
- ٦ . جمال الدين الأفغاني بين حقائق التاريخ وأكاذيب لويس عوض ، دار الرشاد - القاهرة سنة ١٩٩٧م.
- ٧ . الشيخ محمد الغزالي: الموقع الفكري والمعارك الفكرية - دار الرشاد - القاهرة سنة ١٩٩٨م.
- ٨ . الوعي بالتاريخ وصناعة التاريخ - دار الرشاد - القاهرة سنة ١٩٩٧م.
- ٩ . التراث والمستقبل - دار الرشاد - القاهرة سنة ١٩٩٧م.
- ١٠ . الإسلام والتعددية: التنوع والاختلاف في إطار الوحدة - دار الرشاد - القاهرة سنة ١٩٩٧م.

- ١١ . الإبداع الفكري والخصوصية الحضارية . دار الرشاد . القاهرة سنة ١٩٩٧م.
- ١٢ . الدكتور عبدالرزاق الستهوري باشا: إسلامية الدولة والمدنية والقانون . دار الرشاد . القاهرة سنة ١٩٩٩م.
- ١٣ . الإسلام والسياسة: الرد على شبهات العلمانيين . دار الرشاد . القاهرة سنة ١٩٩٧م . وطبعة مركز الراية . جدة . سنة ٢٠٠٤م.
- ١٤ . الإسلام وفلسفة الحكم . دار الشروق . سنة ١٩٩٨ .
- ١٥ . معركة الإسلام وأصول الحكم . دار الشروق . سنة ١٩٩٧م.
- ١٦ . الإسلام والفنون الجميلة . دار الشروق . سنة ١٩٩١م.
- ١٧ . الإسلام وحقوق الإنسان . دار الشروق . سنة ١٩٨٩م . وطبعة مركز الراية . جدة . سنة ٢٠٠٤م.
- ١٨ . الإسلام والثورة . دار الشروق . سنة ١٩٨٨م.
- ١٩ . الإسلام والعروبة . دار الشروق . سنة ١٩٨٨م.
- ٢٠ . الدولة الإسلامية بين العلمانية والسلطة الدينية . دار الشروق . سنة ١٩٨٨م.
- ٢١ . هل الإسلام هو الحل؟ لماذا؟ وكيف؟ . دار الشروق . سنة ١٩٩٨م.
- ٢٢ . سقوط الغلو العلماني . دار الشروق . سنة ٢٠٠٢م.

- ٢٣ . الغزو الفكري وهم أم حقيقة؟ - دار الشروق - سنة ١٩٩٧م.
- ٢٤ . الطريق إلى اليقظة الإسلامية - دار الشروق - سنة ١٩٩٠م.
- ٢٥ . تيارات الفكر الإسلامي - دار الشروق - سنة ١٩٩٧م.
- ٢٦ . الصحوة الإسلامية والتحدي الحضاري - دار الشروق - سنة ١٩٩٧م.
- ٢٧ . المعتزلة ومشكلة الحرية الإنسانية - دار الشروق - سنة ١٩٨٨م.
- ٢٨ . عندما أصبحت مصر غربة إسلامية - دار الشروق - سنة ١٩٩٧م.
- ٢٩ . العرب والتحدي - دار الشروق - سنة ١٩٩١م.
- ٣٠ . صلحون ثوار - دار الشروق - سنة ١٩٨٨م.
- ٣١ . التفسير الماركسي للإسلام - دار الشروق - سنة ٢٠٠٢م.
- ٣٢ . الإسلام بين التنوير والتزوير - دار الشروق - سنة ٢٠٠٢م.
- ٣٣ . التيار القومي الإسلامي - دار الشروق - سنة ١٩٩٦م.
- ٣٤ . الإسلام والأمن الاجتماعي - دار الشروق - سنة ١٩٩٨.
- ٣٥ . الأصولية بين الغرب والإسلام - دار الشروق - سنة ١٩٩٨.
- ٣٦ . الجامعة الإسلامية والفكرة القومية - دار الشروق - سنة ١٩٩٤م.

- ٣٧ - قاموس المصطلحات الاقتصادية في الحضارة الإسلامية - دار الشروق - سنة ١٩٩٣ م.
- ٣٨ - عمر بن عبدالعزيز - دار الشروق - سنة ١٩٨٨ م.
- ٣٩ - جمال الدين الأفغاني: موقف الشرق - دار الشروق - سنة ١٩٨٨ م.
- ٤٠ - محمد عبده: تجديد الدين بتجديد الدين - دار الشروق - سنة ١٩٨٨ م.
- ٤١ - عبدالرحمن الكواكبي - دار الشروق - سنة ١٩٨٨ م.
- ٤٢ - أبو الأعلى المودودي - دار الشروق - سنة ١٩٨٧ م.
- ٤٣ - رفاعه الطهطاوي - دار الشروق - سنة ١٩٨٨ م.
- ٤٤ - علي مبارك - دار الشروق - سنة ١٩٨٨ م.
- ٤٥ - قاسم أمين - دار الشروق - سنة ١٩٨٨ م.
- ٤٦ - التحرير الإسلامي للعرافة - دار الشروق - سنة ٢٠٠٢ م.
- ٤٧ - الإسلام في عيون غربية - دار الشروق - سنة ٢٠٠٤ م.
- ٤٨ - الشريعة الإسلامية والعلمانية الغربية - دار الشروق - سنة ٢٠٠٢ م.
- ٤٩ - في فقه الصراع على القدس وفلسطين - دار الشروق - سنة ٢٠٠٤ م.
- ٥٠ - معركة المصطلحات بين الغرب والإسلام - نهضة مصر - القاهرة - سنة ١٩٩٧ م.

- ٥١ - الإسلام وتحديات العصر - نهضة مصر - سنة ٢٠٠٤م.
- ٥٢ - القدس الشريف رمز الصراع وبوابة الانتصار - نهضة مصر - القاهرة - سنة ١٩٩٧م.
- ٥٣ - هذا إسلامنا: خلاصات الأفكار - دار الوفاء - سنة ٢٠٠٠م.
- ٥٤ - الصحوة الإسلامية في عيون غربية - نهضة مصر - سنة ١٩٩٧م.
- ٥٥ - الغرب والإسلام - نهضة مصر - سنة ١٩٩٧م.
- ٥٦ - أبو حيان التوحيدي - نهضة مصر - سنة ١٩٩٧م.
- ٥٧ - ابن رشد بين الغرب والإسلام - نهضة مصر - سنة ١٩٩٧م.
- ٥٨ - الانتماء الثقافي - نهضة مصر - سنة ١٩٩٧م.
- ٥٩ - التعددية: الرؤية الإسلامية والتحديات الغربية - نهضة مصر - سنة ١٩٩٧م.
- ٦٠ - صراع القيم بين الغرب والإسلام - نهضة مصر - سنة ١٩٩٧م.
- ٦١ - الدكتور يوسف القرضاوي: المدرسة الفكرية والمشروع الفكري - نهضة مصر - سنة ١٩٩٧م.
- ٦٢ - عندما دخلت مصر في دين الله - نهضة مصر - سنة ١٩٩٧م.
- ٦٣ - الحركات الإسلامية: رؤية نقدية - نهضة مصر - سنة ١٩٩٨م.

- ٦٤ . المنهج العقلي في دراسات العربية - نهضة مصر - سنة ١٩٩٧ م.
- ٦٥ . النموذج الثقافي - نهضة مصر - سنة ١٩٩٨ م.
- ٦٦ . تجديد الدنيا بتجديد الدين - نهضة مصر - سنة ١٩٩٨ م.
- ٦٧ . الثواب والمتغيرات في فكر البقطة الإسلامية الحديثة - نهضة مصر - سنة ١٩٩٧ م.
- ٦٨ . نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم - نهضة مصر - سنة ١٩٩٨ م.
- ٦٩ . التقدم والإصلاح: بالتطور القرني أم بالتجديد الإسلامي؟ - نهضة مصر - سنة ١٩٩٨ م.
- ٧٠ . الحملة الفرنسية في الميزان - نهضة مصر - سنة ١٩٩٨ م.
- ٧١ . الحضارات العالمية: تدافع أم صراع؟ - نهضة مصر - سنة ١٩٩٨ م.
- ٧٢ . إسلامية الصراع حول القدس وفلسطين - نهضة مصر - سنة ١٩٩٨ م.
- ٧٣ . القدس بين اليهودية والإسلام - نهضة مصر - سنة ١٩٩٩ م.
- ٧٤ . الأقليات الدينية والقومية: تنوع ووحدنة أم تفتيت واختراق؟ - نهضة مصر - سنة ١٩٩٨ م.
- ٧٥ . السنة النبوية والمعرفة الإنسانية - نهضة مصر - سنة ٢٠٠٠ م.

- ٧٦ - خطر العولمة على الهوية الثقافية - نهضة مصر - سنة ١٩٩٩ م.
- ٧٧ - مستقبلنا بين العالمية الإسلامية والعولمة الغربية - نهضة مصر - سنة ٢٠٠٠ م.
- ٧٨ - في التحريم الإسلامي للمرأة - نهضة مصر - سنة ٢٠٠٣ م.
- ٧٩ - المستقبل الاجتماعي للأمة الإسلامية - نهضة مصر - ٢٠٠٣ م.
- ٨٠ - هل المسلمون أمة واحدة؟ - نهضة مصر - سنة ١٩٩٩ م.
- ٨١ - الغناء والموسيقى: حلال أم حرام؟ - نهضة مصر - سنة ١٩٩٩ م.
- ٨٢ - شبهات حول القرآن الكريم - نهضة مصر - سنة ٢٠٠٣ م.
- ٨٣ - تحليل الواقع بمنهاج العاهات المرمية - نهضة مصر - سنة ١٩٩٩ م.
- ٨٤ - الحوار بين الإسلاميين والعلمانيين - نهضة مصر - سنة ٢٠٠٠ م.
- ٨٥ - الظاهرة الإسلامية - المختار الإسلامي - سنة ١٩٩٨ م.
- ٨٦ - الوسيط في المذاهب والمصطلحات الإسلامية - نهضة مصر - سنة ١٩٩٩ م.
- ٨٧ - إسلاميات السنهوري باشا - دار الوفاء - سنة ٢٠٠٤ م.
- ٨٨ - النص الإسلامي بين الاجتهاد والحسود والتاريخية - دار الفكر - دمشق - سنة ١٩٩٨ م.

- ٨٩ - أزمة الفكر الإسلامي الحديث - دار الفكر - دمشق - سنة ١٩٩٨ م.
- ٩٠ - المادية والمثالية في فلسفة ابن رشد - دار المعارف - سنة ١٩٨٣ م.
- ٩١ - العطاء الحضاري للإسلام - مكتبة الشروق - سنة ٢٠٠٤ م.
- ٩٢ - إسلامية المعرفة ماذا تعني؟ - دار المعارف - سنة ١٩٩٩ م.
- ٩٣ - الإسلام وضرورة التغيير - دار المعارف - سنة ٢٠٠١ م.
- ٩٤ - الإسلام والحرب الدينية - مكتبة الشروق - سنة ٢٠٠٤ م.
- ٩٥ - ثورة الزنج - دار الوحدة - سنة ١٩٨٠ م.
- ٩٦ - دراسات في الوعي بالتاريخ - دار الوحدة - سنة ١٩٨٠ م.
- ٩٧ - الإسلام والوحدة القومية - المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت - سنة ١٩٧٩ م.
- ٩٨ - الإسلام والسلطة الدينية - المؤسسة العربية للدراسات والنشر - سنة ١٩٨٠ م.
- ٩٩ - الإسلام بين العلمانية والسلطة الدينية - دار ثابت - القاهرة - سنة ١٩٨٢ م.
- ١٠٠ - فكر التنوير بين العلمانيين والإسلاميين - دار الوفاء - القاهرة - سنة ١٩٩٥ م.

- ١٠١ - سلامة موسى: اجتهد خاطي: أم عمالة حضارية؟ - دار الوفاء - سنة ١٩٩٥م.
- ١٠٢ - العالم الإسلامي والمتغيرات الدولية - دار الوفاء - سنة ١٩٩٧م.
- ١٠٣ - عالمتنا: حضارة أم حضارات؟ - دار الوفاء - سنة ١٩٩٧م.
- ١٠٤ - الحديد في المخطط العربي تجاه المسلمين - دار الوفاء - سنة ١٩٩٧م.
- ١٠٥ - العلمانية بين الغرب والإسلام - دار الوفاء - سنة ١٩٩٦م.
- ١٠٦ - محمد عبده: سيرته وأعماله - دار القدس - بيروت - سنة ١٩٧٨م.
- ١٠٧ - نظرة جديدة إلى التراث - دار قتيبة - دمشق - سنة ١٩٨٨م.
- ١٠٨ - القومية العربية ومؤامرات أمريكا ضد وحدة العرب - دار الفكر - القاهرة - سنة ١٩٥٨م.
- ١٠٩ - الفكر القائد للثورة الإيرانية - دار ثابت - القاهرة - سنة ١٩٨٢م.
- ١١٠ - ظاهرة القومية في الحضارة العربية - الكويت - سنة ١٩٨٣م.
- ١١١ - رحلة في عالم الدكتور محمد عمارة - حوار - دار الكتاب الحديث - بيروت - سنة ١٩٨٩م.
- ١١٢ - نظرية الخلافة الإسلامية - دار الثقافة الجديدة - القاهرة - سنة ١٩٨٠م.

- ١١٣ - العدل الاجتماعي لعمر بن الخطاب - دار الثقافة الجديدة - سنة ١٩٧٨م.
- ١١٤ - الفكر الاجتماعي لعلي بن أبي طالب - دار الثقافة الجديدة - سنة ١٩٧٨م.
- ١١٥ - إسرائيل هل هي سامية؟ - دار الكاتب العربي - القاهرة - سنة ١٩٦٨م.
- ١١٦ - الإسلام وأصول الحكم: دراسات ووثائق - المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت - سنة ١٩٨٥م.
- ١١٧ - الدين والدولة - الهيئة العامة للكتاب - سنة ١٩٩٧م.
- ١١٨ - الاستقلال الحضاري - الهيئة العامة للكتاب - سنة ١٩٩٣م.
- ١١٩ - الإسلام وفضايا العصر - دار الوحدة - بيروت - سنة ١٩٨٤م.
- ١٢٠ - الإسلام والعروبة والعلمانية - دار الوحدة - سنة ١٩٨١م.
- ١٢١ - القريضة الغائبة: عرض وحوار وتقسيم - دار الوحدة - سنة ١٩٨٣م.
- ١٢٢ - التراث في ضوء العقل - دار الوحدة - سنة ١٩٨٤م.
- ١٢٣ - فجر اليقظة القومية - دار الوحدة - سنة ١٩٨٤م.
- ١٢٤ - العروبة في العصر الحديث - دار الوحدة - سنة ١٩٨٤م.
- ١٢٥ - الأمة العربية وقضية الوحدة - دار الوحدة - سنة ١٩٨٤م.

- ١٢٦ . أكتذوبة الاضطهاد الديني في مصر . المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية - القاهرة - سنة ٢٠٠٠م.
- ١٢٧ . في المسألة القبطية: حقائق وأوهام . مكتبة الشروق الدولية - القاهرة سنة ٢٠٠١م.
- ١٢٨ . الإسلام والآخر: من يعترف بمن؟ ومن ينكر من؟ . مكتبة الشروق الدولية - القاهرة سنة ٢٠٠١م.
- ١٢٩ . في فقه المراجعة بين الغرب والإسلام . مكتبة الشروق الدولية - القاهرة سنة ٢٠٠٣م.
- ١٣٠ . الإسلام والأقليات: الماضي والحاضر والمستقبل . مكتبة الشروق الدولية - القاهرة سنة ٢٠٠٣م.
- ١٣١ . مستقبلنا بين التوحيد الإسلامي والحداثة الغربية . مكتبة الشروق الدولية - القاهرة سنة ٢٠٠٤م.
- ١٣٢ . الغرب والإسلام: أين الخطأ؟ وأين الصواب؟ . مكتبة الشروق الدولية - سنة ٢٠٠٤م.
- ١٣٣ . مقالات الغلو الديني واللا ديني . مكتبة الشروق الدولية - سنة ٢٠٠٤م.

١٣٤ - في فقه الحضارة الإسلامية . مكتبة الشروق الدولية . سنة ٢٠٠٣ م.

١٣٥ - الدراما التاريخية وتحديات الواقع المعاصر . مكتبة الشروق الدولية . سنة ٢٠٠٤ م.

١٣٦ - في المشروع الحضاري الإسلامي . مركز الذاكرة . مجلة . سنة ٢٠٠٤ م.

١٣٧ - شخصيات لها تاريخ . مركز الذاكرة . مجلة . سنة ٢٠٠٤ م.

١٣٨ - شبهات وإجابات حول القرآن الكريم . المجلس الأعلى للشئون الإسلامية . سنة ٢٠٠١ م.

١٣٩ . الإمام الأكبر الشيخ محمود ثلثون . المجلس الأعلى للشئون الإسلامية . سنة ٢٠٠١ م.

١٤٠ . شبهات وإجابات حول مكانة المرأة في الإسلام . المجلس الأعلى للشئون الإسلامية؛ ج ١، ٢، ٣ . سنة ٢٠٠١ م.

ب . دراسة وتحقيق:

١٤١ . الأعمال الكاملة لرفاعة الطهطاوي . المؤسسة العربية للدراسات والنشر . بيروت سنة ١٩٧٣ م.

١٤٢ . الأعمال الكاملة لجمال الدين الأفغاني . المؤسسة العربية للدراسات والنشر . بيروت سنة ١٩٧٩ م.

١٤٣ - الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده - دار الشروق - القاهرة - سنة ١٩٩٣ م.

١٤٤ - الأعمال الكاملة لعبد الرحمن الكواكبي - المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت سنة ١٩٧٥ م.

١٤٥ - الأعمال الكاملة لقاسم أمين - دار الشروق - القاهرة - سنة ١٩٨٩ م.

١٤٦ - رسائل العدل والتوحيد - دار الشروق - القاهرة - سنة ١٩٨٧ م.

١٤٧ - كتاب الأموال - لأبي عبد القاسم بن سلام - دار الشروق - القاهرة - سنة ١٩٨٩ م.

١٤٨ - رسالة التوحيد - للإمام محمد عبده - دار الشروق - القاهرة - سنة ١٩٩٣ م.

١٤٩ - الإسلام والمرأة في رأي الإمام محمد عبده - دار الرشاد - القاهرة - سنة ١٩٩٧ م.

١٥٠ - فصل المقال فيما بين الحكمة والشرعية من الاتصال - لابن رشد - دار المعارف سنة ١٩٩٩ م.

١٥١ - التوفيقات الإلهامية في مقارنة التواريخ - محمد مختار باشا المصري - المؤسسة العربية - بيروت - سنة ١٩٨٠ م.

١٥٢ - الشريعة الإسلامية ضالحة لكل زمان ومكان - للشيخ محمد الحنظل

حسين - نهضة مصر سنة ١٩٩٩ م.

١٥٣ - السنة والبدعة - للشيخ محمد الحضر حسين - نهضة مصر سنة

١٩٩٩ م.

١٥٤ - روح الحضارة الإسلامية - للشيخ الفاضل ابن عاشور - نهضة مصر -

سنة ٢٠٠٣ م.

ج . مناظرات:

١٥٥ - أزمة العقل العربي - دار نهضة مصر - القاهرة سنة ٢٠٠٣ م.

١٥٦ - المواجهة بين الإسلام والعلمانية - دار الآفاق الدولية - القاهرة سنة

١٤١٣ هـ.

١٥٧ - تهاوت العلمانية - دار الآفاق الدولية - القاهرة سنة ١٤١٣ هـ.

د . بالاشتراك مع آخرين:

١٥٨ - الحركة الإسلامية: رؤية مستقبلية - الكويت سنة ١٩٨٩ م.

١٥٩ - القرآن - المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت - سنة ١٩٧٢ م.

١٦٠ - محمد ﷺ المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت - سنة

١٩٧٢ م.

١٦١ - عمر بن الخطاب - المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت - سنة

١٩٧٣ م.

١٦٢ - علي بن أبي طالب - المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت -
سنة ١٩٧٤م.

١٦٣ - فارعة منسبر - مكتبة الشروق الدولية - القاهرة سنة ٢٠٠٢م.

١٦٤ - حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين - المجلس الأعلى
للشئون الإسلامية - سنة ٢٠٠٢م.

١٦٥ - الشيخ الشهيد أحمد ياسين .. وفقه الجهاد على أرض فلسطين
- مركز الإعلام العربي - بالقاهرة سنة ٢٠٠٤م.

١٦٦ - قراءة النص الديني بين التأويل الغربي والتأويل الإسلامي - تحت
الطبع.

١٦٧ - مقام العقل في الإسلام - تحت الطبع.

١٦٨ - الفتوحات الإسلامية: تحرير .. أم تدمير؟؟ - تحت الطبع ..

الفهرس

- ١- تمهيد ٥
- ٢- الدراما: مدرسة للتربية والتثقيف ٩
- ٣- الاستدعاء الدرامي للتاريخ .. وقضايا الواقع المعيش ١٩
- تداعي الأمم على الإسلام وحضارته ٢٠
- ٤- في تاريخ صدر الإسلام ٢٣
- ٥- وفي التاريخ الوسيط ٢٧
- ٦- الجسم المعادي - المُنحَم - بين التمدد .. والحصار ٣١
- ٧- وغواية الأقليات ٣٥
- صفحة الغواية الصليبية عند اقتحام القدس (١٤٩٢هـ / ١٠٩٩م) ٤٢
- وفي دمشق ٤٣
- وفي مصر ٤٤
- ٨- معاملة الأسرى ٤٧
- الهوامش ٦٥

- المراجع ٦٩
- الدكتور محمد عمارة ٧٣
- سيرة ذاتية في نقاط ٧٣
- ثبت بأعماله الفكرية ٧٨
- الفهرس ٩٣

رقم الإيداع ٢٠٠٤/٢٠١٢٧

الترقيم الدولي I.S.B.N - 977-09-1151-8

الدراما التاريخية وتحديات الواقع المعاصر

- إن «الوعي» بالتاريخ هو الهدف من «قراءة» التاريخ.. وإذا كان القاريخ لا يعيد نفسه .. فإن له سنناً تحكم مسيرته، عبر القرون.. و الأمم.. والحضارات..
- وإذا كانت «الدراما» قد أصبح لها جمهور يفوق جمهور الصحافة والكتاب .. وتأثير يجعلها – بعبارة رواد نهضتنا الحديثة – : «جامعة لتربية النفوس على مقاومة الجبروت و الجبابة .. والجهاد لتحرير الأوطان .. و تهينة النفوس لخدمة الشريعة » .. فإن «الدراما التاريخية» – على وجه الخصوص – سلطاناً يجعلها سلاحاً من أمضى أسلحة الثقافة في واقعنا المعاصر .. فهي القادرة على جعل «الوعي» بالتاريخ «طاقات فكرية خلقة» ، نواجه بها التحديات التي يفرضها علينا الأعداء هذه الأيام .. تحديات :
 - الغزوة «الصليبية – الصهيونية»..
 - والغواية الاستعمارية للأقليات ..
 - والتحالفات غير المقدسة ضد الإسلام ..
- ولفتح باب هذا الكنز الثقافي – أمام الباحثين .. والفنانين، والقراء – يصدر هذا الكتاب.

500010

5.00

